negdad--the crazy young intern doctor

القمرُ الأزرق

مجموعة قصص خيالية

فارس عيسى السخاني

القمرُ الأزرق

مجموعة قصص خيالية

بِقلم: فَارس السَحَاتِي

الفهرس

مقدمـــة 6

إهـــداء 8

معركة التحرير والكائن الخرافي 12

القمر الأزرق (نومينا) 34

باريس (أحلام ضائعة) 68

الرجل الحوريّة 92

إسحاق يعشقني 112

الأرملة البيضاء وإكسير الحياة 148

مـقدّمـــــة

يقول رالف جيرارد:

(العقل يستطيع الإجابة على الأسئلة ، ولكن ... يجب على الخيال توجيهها أولاً).

نعـم فالعقـل هـو المنبـع لكـلّ مـايتم تحقيقـه مـن خيـال وهوامش افتراضيه، فبه نحيا وبه نموت...

مـابين يـديك عزيـزي المطّلـع، مـاهي الاّ أفكـار محمومـةٌ مليئـةٌ بالشـغف والرغبـة بتحقيـق الأهـداف والوصـول إليهـا حتـى بعـد غيـاب المنطـق، والحجـة والبرهان في أحيـان كثيـرة.... لـم أتّبـع نظامـاً معينـاً فـي السرد ولم أكبّل نفسي بقيود الكتّاب العظماء، فأنـا لستُ مـنهم ، لأنهـم الصـورة وأنـا الظّـل .... أفضِّـل تسـميتي

"بالكاتب المرتجل"، أخطّ حروفي كما يحلّق بي خيالي.... لاأدري أين سأحطّ في النهاية ولا أين وجهتي المطلوبة، تاركًا لمزاجي حرية الاختيار....أحيانًا أشعر بعواصفَ حارّةً ولكن لضعفيَ البشري، أعجز عن وصفها لكم، فإمّا أن يكون عجزًا منّي كإنسان أو أنّها حروف تُغتاب بغياب تعابير وجهي فيها.....حاولت مراراً أن أسكب مشاعري بين حروفها علا من يمرّ بها يوماً يلحظ ما بها من مشاعر صادقة.

المؤلف

إهداء

أهدي هذا الكتاب إلى أبي وأمي... لتشجيعهما لما أكتب، ودفعهما لي بمخزون لاينضب من الدعم المعنويّ والعاطفيّ... كان هذا بمثابة وقودٍ لي....

وكذلك الأصدقاء: سليمان الشبلي وأحمد الفلّاح وفدوى البرجو ومالك وابن عمي الغالي أحمد السّحاتي وأختي سارة لدعمهم لي منذ البداية وإيمانهم بما أكتب.... (**أحبّكم جميعاً**).

أيضاً لن أنسى صديقي معتز الحداد، ومجهوده في التصحيح اللّغوي للكتاب وملاحظاته التي يشاد بها... أشكره كثيرًا.في النهاية أهدي هذا الكتاب بالكامل إلى توأمي الخرافي المسمى الخيال، لطالما أحرق أكسجينه أنفي انتعاشًا...فليرعاك الله أينما حللت.

الخيال ... عقارٌ يجعل مدمنيه قابلين للجنون.

معركةُ التَّحرير ... والكائِنُ الخرَافِي

معركةُ التحرير
و
الكائنُ الخرافيّ

أجمل ما بالّصيف ....الحر.....والأرق!!

وحبّات العرق على الجبين ...

وشبح بعوضةٍ جائعة، تنوس في الفراغ كالبندول الطائر، بلا كللٍ تنعكس على جناحيها ألوان التلفاز الزرقاء في الظلام .... وأشلاء بطيخةٍ حمراءَ طريةٍ ترسل برائحتها لصراصير الحي الخضراء... معلنةً عن بدء حفلة.... لسنّ ما فوق الـ18+ يوم!!

وهناك من خلف اللّوحة الفوتوغرافية لعاصفةٍ ثلجيةٍ لرسّامٍ غير معروف..... والتي شحُبت ألوانها المائية من شدّة الحرّ..... تتربص العنكبوت وحيدةً تئزّ بأنيابها بصوتٍ مُوارب للشجن والقهر.. اتّخذت من الزّاوية خلف اللوحة سكنًا أبدياً... ... في انتظار وليمةٍ

لمّـا تحـن بعـد... ولـذّة لـم تنضُـج بعـد.... ففـي انتظـار الملذّات والتحضير لها نكهةٌ لا توصف....

★★★★★

وخلف صندوق الكرتون وخزانة الملابس يهيم شبحٌ أسود أرى خياله، ولكنّ عيناي لم تلتقطـه... بحجم أرنبٍ ولكنّه ليس بأرنـب... لـه ذنَـب مثل الكنغر ولكنـه ليس بكنغر...لـه قرن واحد، ولكنّـه ليس بوحيد قرن كذلك.... لم أستطع التمييز جيداً بسبب الظّلام....وبهرة التلفاز...

أهُـشّ يـديَ بتثاقـلٍ، أبحـث عـن "الريمـوت كونترول" خلف التلفاز.... فتطـأُ خطـأً على ذنب ذاك الحيوان الشبيه بـالكنغر .... أحسستُ وكـأنّي اتحسّس خـيط كهربـاءٍ مجـدولًا بعنايـة، غطّـاه الزّغـب النـاعم

النـابض الباعـث للحـرارة....نبضـاته كقيثـارةٍ عتيقـةٍ لـم يمسسها بشر.... نبضـاتٌ غير مُدَوزنة، متعطشةٌ لتلويح يدي موسيقار، يعيدُ ضبط سيمفونية التحرّر خاصّتها، رعشـاتٌ سـاخنةٌ ملتهبـة سَـرَت بجسـدي ... نبضـات مكبوتةٌ تريد التحرر بأية طريقة...

الغريب في الأمر أنني صرخت بهلع وذلك الشيء لم ينبس ببنت شفه.... ولم يهتزّ قيد أنملة... حينها راح يتأملني بعينين حزينتين.....ولوهلةٍ أحسستُ أن ما بيننا من أثيرٍ حارٍّ وظلامٍ خافتٍ وبعوض جائع... قد مُلِئ شـعاعاً بـارداً .. أردى ظلمـة الغرفـة الحالكـة إلـى مالانهاية.... واستحال صيفها إلى صقيع....

فنشـأت بينـي وبينـه ألفـة .... وكـأنني أعرفـه منـذ صـغري... تنـاول قضـمةً مـن الجـبن كانـت طريحـة بجانب الطاولة...

تراجع بعدها إلى الخلف يجر ذنبه الضخم بخفة وكأنه يمشي على سلك ويعيد توازنه بذلك الزّان....دخل برشاقةٍ من فتحةٍ بالجدار ضيقةٍ جداً.... لاأدري كيف اتّسع حجمها له...

رجعتُ إلى الخلف وكأن شيئًا لم يحدث، وكأنني رأيت قطتي المدللة ....اعرفها منذ زمن. .هكذا فكرت!!

تابعت الزحف في الظلام .....ابحث وابحث.....

***

أربعةُ دقائقّ قبل منتصف الليل .. صوتُ العقارب يدبّ كجيشٍ من النّمل الإفريقي القاتل... ينتظر هو أيضاً لحظته...

الحر لازال يلسعني على جبيني وصدري وبقيّة أجزاء جسدي.. خِلتُه النمل قد تحرر من الساعة!! ...وجاء ليجتث مني ويلج إلى مساميَ

المفتوحـــة..... رائحـــة جســـدي النتنـــة زادت مـــن انزعاجي، فلم يطب لي البقاء في هذه الغرفة أكثر،لأني لم أستحمّ منذ أيام. .....ولكنني لا أقوى على تحريك أصغر عضلة...فما العمل؟؟!

أحس بأني أتنفس من فوّهة بركان.... فالأبخرة تتصاعد من أنفي وأذناي ومن تحت أظافري بل ومن جميع فتحات جسمي، لتلتصق بأجنحة البعوض الجائع فتجعله عاجزاً عن متابعة إزعاجي.... فتخِرُّ واقعةً أمامي هنا، وخلف الصورة الفوتغرافية لتصبح فيما بعد مومياءات محنطة وعرائس بملاءات بيضاء فضيةً براقةً في شِبّاك العنكبوت الوحيدة..... كالقناديل القديمة، تُشعّ بأنوار بيضاء واضحةً تضئ بها ظلمة الوحدة للعنكبوت الناحبة...

****

اثنتى عشرة دقيقةً بعد منتصف الليل، سخونة الصيف تلهب حلقي، وتضفي على إحساسي الخدر... جفاف الحلق زاد من صعوبة التنفس!!!

لكنه في الوقت نفسه يفعمني بالارتياح.....فكل مسام جسمي تفتحت عن بكرة أبيها.. تخرج السموم والأحقاد وتُفتّت الأوساخ ..... تُخرج همومي وتُخوي المسام.....أحسست أن لاشيء يفصل بين داخلي ومحيطي....فقد غدوت حينها كائنًا بحريًا من مَلحٍ وهواء، قنديلَ بحرٍ أسبحُ بحرّية كأني عارٍ تماماً من أيّة ملابس تُكبّل حريتي.....أتحرك هنا وهناك كما يحلو لي...

***

العنكبوت لاتزال تئزّ بلا كللٍ بنفس الصورة الرتيبة.... بدت وكأنها لاتئز بسبب قلةٍ في الطعام ، فها هي قد انتهت من تحنيط فيلق البعوض خاوي الأمعاء...ولا يبدو أن شهيتها مفتوحة، بل يبدو أزيزها لحناً لحبيب بعيد لمّا يأتِ بعد.....أو أنه لحنٌ لمرحلة ترمّل لم تجئ بعد.....هكذا هو بيتها على الدوام!!

عنفوان وكبرياء مغزولان بشَباكٍ ومصابيح متجددة على الدوام، وأخرى غير مضيئة...إنها جثامين بعوض من ليالي انتظار مقفرة... صوتها رفيق صمتي وافكاري المحمومه....طوال فترة خلوتي ويقظتي ، في حلمي .. وفي صحوتي.

****

فجأة!!!

صرير الباب يطرقع في وسط الأجواء، يفزع فرقة الصراصير الخضراء... فتتخذ من جدران الغرفة ملاذاً وكأن عدوها موجود على الأرض فقط...

أخي الصغير يدخل بعصبية يشكو سخونة الأجواء.....ورطوبة البيت...

حتى باقي من كانوا في الغرفة التزموا الصمت، احتراماً وإكبارًا، أو ربما خوفاً وإذعانًا... العنكبوت توقفت عن الأزيز... الصراصير الخضراء توقفت عن التدافع بغباء.....البعوض تجمد في الهواء بلا حركة.....الحيوان ذو القرن مثل الكنغر الشبيه بالأرنب تكوّر كالأرماديللو... فقط عيونهم كانت مُركّزة باتّجاه البشري الغاضب... صمتٌ مُطبق يجتاح الصّخب السابق .... فقط بقايا صدًى وأنفاسٌ تلهث...

ثبتت نظراتي عليه وأنا منتشٍ بفعل تأثير السّاونا.... لاحظت تطاير الشّرر الغاضب من حوله ... شحناتٌ سالبة تكاد تُشعل المكان ....تفعالت مع مسامي المرتخية فزادت من انفتاحها...

نحن فقراءُ بطبيعة الحال ...لم نستطع تكفل مصاريف جهاز التكييف ولامصاريف كهربائه.....على الرّغم من غنى أبي أطال الله عمره...

أخي يشكو...لماذا لايوجد لدينا تكييف كالذي عند بيت صديقي رامي؟ ، لماذا نحن مختلفون عن بقية الجيران؟؟!

ابتسمت ابتسامةً ماكرةً تنمّ عن النصر.. وعرفت بأنه سيعتاد الحرّ مثلي، وسيعاقر النتح البخاري في جلده.

سيلعَن اليوم ... وسيقدِّس الغد.... سوف لن أكون وحيداً بعد اليوم..... سيكون رفيقي قريباً....رفيق الذل والمهانة...

نظر إليّ بحقدٍ يغلي وقد احمرّت أوداجه غضبًا... وكأنه سئم برود أعصابي وطأطأة رأسي وسئم من كوني أمشي على أربع طوال اليوم.... نظرةً تحوي معاني الغضب وبداية عصر التحرر من العبودية....

يخرج من أمامي مسرعًا كنيزك يحترق. تاركاً إيّاي على حالي الذي كنت عليه، أبحث عن جهاز التحكم المفقود.... بصمتٍ وخنوع..... لا أريد أن أبدي رأيي في شيء ، لسان حالي يقول "اللهم لا اعتراض"....فقط أريد أن أجد جهاز التحكم اللعين!!

****

أخيراً وجدته، إنه هناك خلف صندوق الكرتون !!! يبدو أنني رميته في موجة من موجات غضبي السرّي الذي طالما كتمته، بالتأكيد... فإن أفصحت سيتم إعدامي على الفور بمحاكمة صورية!! أبي ذو الاثنين وأربعين عاماً دكتاتوريٌّ من الطراز القديم قد يسمعنا ولكنه لا يصغي إلينا.. يكتنز الأموال الوفيرة لنفسه، يسرقها من أمّي ولايعطيها شيئاً. مسكينةٌ تحتضر في صمت....ولانملك من حقها إلا الضئيل.

ونحن هنا صامتون ....مُجبرون.....مُسيّرون... لانملك من حقوق البشر سوى الشكر والتصفيق..

☆★☆★☆

أتابع تغيير القنوات أبحث عن أيّ برنامج يعرض أمواج البحر... أو ربما إعلاناً عن مشروبٍ غازيٍّ منعش !!!

أخيراً أمر بقناة تعرض عظام حيوان قارض لاحم... ذي قرن واحدة.... سمعت أنه قد مضت على انقراضه سنونُ مديدة!!

كلّا، إنهم يجهلون الحقيقة .... فها هو قابع في بيتنا يأكل الأجبان ويخرج الغازات الصغيرة بخجل غير مسموع... يسرق الألعاب والجوارب وكل ماهو لامعٌ وبرّاق.... يحفر بقرنه ويثب بذيله ... يتزاوج من نفسه ويلد من نفسه بل ويرضع من نفسه.....يعيش ويموت، يحرق ويبعث من رماده منذ عقود أزليه...كائنًا ماوراء بيت عزرائيل.....حتى عزرائيل نفسه لايعلم بوجوده.... فهو ليس مذكوراً في سجله من الأساس، خُلق سهوًا، وأُسقط عن قوانين الموت والحياة سهوًا!!!

في إحدى المرات فاجأته بأن أشعلت النور عليه.. فظهر لي لونه.... يبدو لونًا غير عادي.. لونٌ نحاسيٌّ مخضّبٌ بالبنفسج، ومُبرقش بالرمادي.... للمرة الأولى بدا لي فروه لامعًا ....وفمه كمنقار بطّة....ورقبته مكسوة بفروٍ وريش.

وعيناه صغيرتان حادتان واضحتان في الرؤية... كأنّه مجموعة من الحيوانات اجتمعت في كائن واحد...

حتماً ينقصه شيء واحدٌ ليكتمل.."جناحان" هكذا فكرت حينها!!!

ارتعش بخفه حينها إلى الوراء فارشًا جناحين كالوطواط.. فركت عيناي من هول المفاجأة وفتحتها في جزء من الثانية لأجده قد اختفى مخلفًا وراءه قطعة بسكويت مملحة وقد بللها لعابه الدّبق..

****

الحر في تزايد ..مؤشر الحرارة يصل إلى 41 سيلسيوس....أكاد اشعر بلذة عارمة ....شبح البعوض الجائع يلاحقني من غرفتي إلى المطبخ ،نعم أظنني أسمع طنينه يدوي قريباً.. أجرّ نفسي زاحفًا في الممر....ألهث وألهث كالكلب وقد أضناني الوهن، وفقدُ الأملاح غيّر من مزاجي وأربك نفسيّتي....العنكبوت تحزم حقائبها ومومياءاتها وعرائسها بسرعة لتلحق بي ...

فيلق الصراصير الخضراء يأتي مسرعاً في طابور منظّم على غير العادة، أملاً في التقاط فضلات طعامي.. فقد مَلُّوا هم أيضاً نكهة البطيخ المائعة السمجة... تعجبهم فكرة تذوق الدّماء الحارّة... تُغريهم الفتنة لكي تشتعل الحرب وينعموا بالدماء الطازجة..

أتذكر أخي الصغير، ومدى جرأته على مواجهة أبي وجبروته..... كلنا أردنا التحرر ولكن لم نُرد أن

نخسر... نريد التغيير ولانريد تحريك لوحة معلقة على الجدار منذ عقود.....إنه نوع من الاستعباد النفسي .... إنه سجن العقول... سجنٌ أشدّ وطأةً من سجن الأجساد...

لكن أخي - ذا السبعة عشر ربيعًا- مفعمٌ بالشجاعة والأمل....لايريد أن ينعم هو نفسه بالتكييف...ولكن يريد تأمينه لإخوتي الصغار.....يريد لإخوتي العيش بكرامةٍ وحرّية دونما استعباد ...فأمّي لديها كنوز تكفي كامل الحي... ذلك هو الحق ولاحياد عنه...

أعضاء جسمي تغلي ، تصرخ، تعربد، تريد الانعتاق تريد التحرّر... تريد اللحاق بتيار أخي.....نعم، إنه تيار الحق...

يا إلهي حرارتي زادت الضعف...مالّذي يجري .!؟

طاقات تتحرر من مخازن الميتوكوندريا في جسمي..
تفـــاعلاتٌ طـــاردةٌ للحـــرارة ... أكســـدةٌ، تكسيرٌ.....تحرّرٌ..... جوعٌ....أبخرةٌ سامة...

صـوت الحـق يرتفـع مـن المسـجد المجـاور ...الله أكبر...الله أكبر....في غير وقته.....

نعم نسيت الجوع..... لأنـه الصيف...ولكن ماذا حل بتأثير الحرارة على أيضي؟؟!

أنـا جـائع...ولكـن لـيس للأكـل....بـل للمغـامرة جـائعٌ لقضـمة خطـر.... لرشـفة أدرينـالين..... لاشـتمام الهلوسـة....وملامسـة حـدود اللامعقـول.....جـائعٌ لافتراس الحرية...

قـوةٌ روحانيـةٌ تتفجّـر داخلـي ، تُجبرنـي علـى الصمود والمُضيّ قُدُماً... تشبّثي بالحياة كان أقوى ممّا توقعت... أقوى حتى من دكتاتورية أبي وجواسيسه.

أنظُـــر خلفـــي، فـــأرى الحشـــود مســـتعدةً بعـــزمٍ وتفـــانٍ...عناكـــبُ وبعـــوض ذو أنيـــاب، وصراصـــير مدرعـة، والشبيه بـالكنغر ورأس البطـة وحجم الأرنـب يســنّ قرنـــه للخـــوض فـــي اللامعقـــول.....يهمهمـــون بأصـــوات غاضـــبة مزمجـــرة....أصـــواتٌ تريـــد كســـر اللامعقول وركوب الخطر.....أصواتٌ يعلو صداها في هذا الممر المظلم.....بعضـهم يريد التحرر والبعض الآخر يريد الحفاظ على إرث العبودية...

أتقدمهم خطوة فأسمع خطواتهم خلفي بعنف.... طبولٌ وصـهيلٌ وخرخشة، أزيزٌ وصفيرٌ دونما مايسترو

لضبط الصوت... أصوات متناسقة تجبرك على المضي للخطر....تزداد وتيرتها كلما تقدمت خطوة تلو الأخرى ....في تصاعدٍ مستمرّ....أجري وألهث فتعلو بصخبٍ جميل... أصِل أخيراً ... أقف في منتصف ساحة المطبخ..... الثلاجة تهتزّ بعنف تجترّ مابجوفها من لحوم فاسدة متعفنه اكتنزها ابي منذ سنين.. المقاعد الخشبية والطاولة، كلّها تنقلب رأسًا على عقب..... الملاعق تقع على الأرض، السكاكين تنغرس بين الحشود الغفيرة.....الستائر الخضراء تسقط بانهزام....البهارات تُقذف في الهواء فتزيد من حرارة الموقف

صوت الحق يرتفع في الأجواء...الله أكبر...الله أكبر.....

****

الحرّ يزيد من حدة الأجواء....فالكلّ مثلي جائع مهتاج ضائج.....الكل جاهز...الكل يتحين الفرصة للوثب والانقضاض....

العرق يغسل جسمي بالملح الحجري والكبريتي....يطهرني يحميني....الدم يندفع بضراوة لوجهي ويدي وكل أعضاء جسمي.....قلبي ينتفض بعنفوان ...لايهمني إن قضيت نحبي ، فلا رجوع للحر المقيت بعد اليوم ، لا للخنوع.....

****

الأوردة تتمدد بتمرّد واضح فوق ذراعيّ ..تريد أن تتحرر هي أيضاً ، تريد الانعتاق من جبروت الروتين والملل..

تبًّــا... أُريد مضاجعة الخوف...أريد أن أُمرغد الخطر تحـــت رِجلـــيّ... فـــي أرض المطـــبخ... ســـاحة المعركة.......الآن!!!

الكـــــلّ يصـــــرخ بصـــــوتٍ عـــــالٍ واضح...نعم...نعـم....نعــم!! ...افعلها....افعلـهــا!!!

إنها ساعة الصفـر.....لاتراجع لاتراجــع!!

حـــرّيـــــــــــّـة !!!

****

انتهت

الســاعة الواحـدة والنصـف لـيلًا

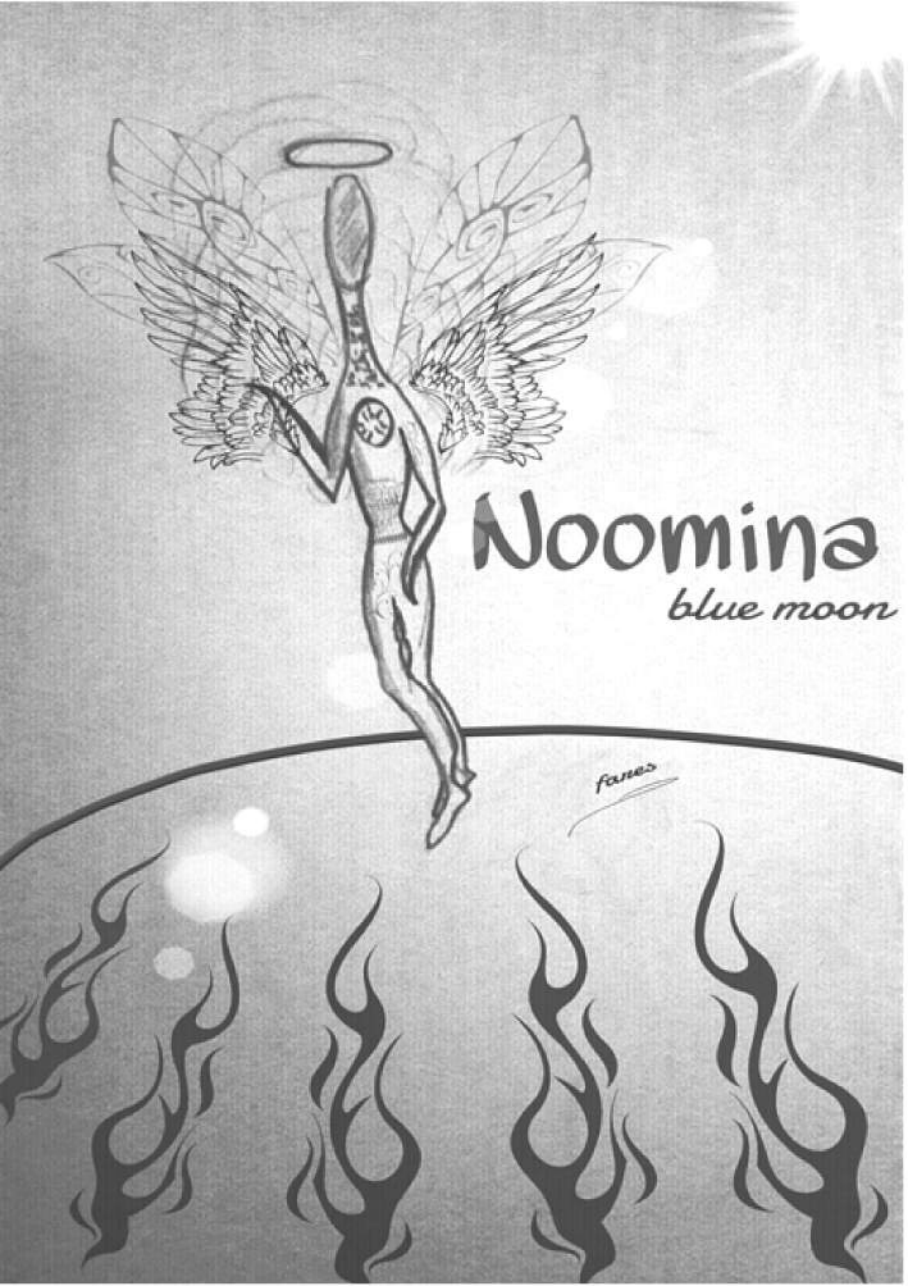
Noomina
blue moon
fanes

القمرُ الأزرَق..

(نومينا)

كُنتُ عائدًا من جلسة خمرٍ تعاقرُ السّماء متعةً.. من على شاطئ (البُردي)... ذي الشّكل الهلالي المطلّ على الخليج بحياءٍ بين الجبال... مُتلفّحًا بالجبال عباءةً.. وبالليل برنسًا يقيه ملوحة الوحدة...

الساعة تشير إلى (4:47) صباحًا.. النُّجومُ تكاد تضمحلُّ في بهرة الفجر.. تزدادُ تألُّقًا كأنّها تهتزّ بسرعةٍ في مكانها. لونُ السّماءِ الأسود يبهُت ويخفت ليمتزج بالأزرق النيلي... معلناً عن قدوم يومٍ جديد.... أقود سيّارتي (اللانسر) بسرعةٍ معقولةٍ حينما مرّ من أمامي جسمٌ مضيءٌ واختبأ بين صخور الجبل المطلة على البحر... لم أستطع كبح فضولي المترنّح من زجاجةِ الفودكا المستوردة، من استكشاف ماهيّة ذلك الشيء المنير... حتمًا فوق سُكري لازالت هناك بعض اليقظة الفضولية... ركنتُ حينها على جانب الطّريق ونزلت أتفقّد ذاك الشيء... اقتربتُ بين الصُّخورِ بتوجّس

واضعًا يديّ على وجهي كأنني على موعدٍ مع نيزكٍ سماويٍ سيقذفُ بحمَمِه الداريّة في وجهي... تقدّمتُ خطوةً أخيرةً فوجدتُ فتاةً بل ملاكًا بأجنحةٍ مخمليّةٍ حسّاسةٍ متضرّرةٍ.... مُدمّيّة... ترتعشُ تارَةً فتُضئ دائرةً في منتصف صدرها وتنطفئ تارةً أخرى مع كل زفيرٍ تُخرجه... كأنني حينها أشهد الموت يتنفس ويلفظ أولى أنفاسه... ويُولد.

أُذُناها مدبّبةٌ صغيرةٌ شفّافةٌ رقيقةٌ كآذان الأطفال.. أو كجنّية الأسنان.... شعرها أزرقٌ به خطوطٌ مضيئةٌ زرقاء كسيّالات عصبيّةٍ متقطّعة...

لاحظتُ وجودَ نقوشٍ غريبةٍ على رقبتها كأنها شيفرةٌ أو أحجيةٌ، تُذكّرني بفيلم "جون كارتر من المرّيخ".. تتغير تفاصيلُها كلّما زفرَت..

لا أعلم كم من فكرةٍ جنونيّةٍ طرأت على رأسي المترنّح.... نسيت ما درسته في كُليّةِ الطّبّ البشريّ، كيف تنعش مصابًا.... أو كيف تنقذ ملاكًا يتنفس أوزونًا!!!

كيف تضمّدُ جرح عصفور الكناري!!

لففتُها بمعطفي كيفما اتفَق حينها.... وتفاجأتُ لصغرِ حجمها بين ذراعيّ... أبدو لمن يراني من بعيدٍ، كمن يحملُ طفلته الرّضيعة... ولكنها تبدو لعيوني كفتاةٍ فاتنةٍ يجعلُها الألم أكثر جاذبية وكبرياء.... أسمعُها تُهلوس.. أو ربّما تحلُم بأهلها... تئنُّ بأنّات لم أفهمْها... أوليت اهتمامي لأجنحتها حتى لاتتلفْ... وضعتها في حجري ومضيت أقودُ بجُنونٍ فوق جنون السُّكّر.. أطوي الطريق بين الجبل والبحر كثُعبانٍ أسودَ برّاق لاينتهِ... ذهبتُ بها إلى بيتي في بداية المدينة.... صورة المشهد يتكرّرُ في مخيّلتي ببطءٍ شديدٍ.... جسمٌ مضنىٌ ينزل من

السّماء بسرعةٍ ويختبئُ في خوفٍ كمن كان مطاردًا من قبل مارِدٍ مخيفٍ.... هالةٌ مضيئةٌ تنسابُ خلف الجسم المضئ تمتد كأثير... شبحٌ أسودٌ يتفجر في الهواء... هبّت عاصفةٌ لحظيةٌ ساخنةٌ وانتهى كلُّ شيء...

تحدّثتُ كثيرًا إلى نفسي وأنا أقود، تخيّلت جمال الكائنة الغريبة... طعم الكونياك يرتجع إلى فمي بحرقةٍ... بقايا ثمار العُلّيق العالقة بين أسناني. تفرزُ لسعاتٍ متواصلةً في لساني، تجعلني أرغب بالمزيد... الملاك تزداد اشتعالًا ...أكاد أجزِم بأنّ حرارتها تُسابق الخمسين... حرارةٌ في حلقي وجرمٌ سماويٌّ في حِجْري... وأفكارٌ محمومةٌ في عقلي... والسيارةُ تشتعلُ بِنَا بطريقةٍ تجعلنا ننصهر في بعض...

سيّالاتُها العصبيّة تتّحدُ مع شعيرات صدري... غدوْنا كائنًا واحدًا ملتهبًا من كونياك وأوزون.... من ردّ فعلٍ واحدٍ... نتحركُ... نلتهبُ معًا ونبرُدُ معاً...نخاف معاً

ونمضي معاً... نُهلوسُ معاً ونصحو معاً... نُومضُ معاً وننطفئُ معاً....

وصلتُ أخيرًا إلى بيتي المتواضع ، مقودُ السيارة انصهر تحت أصابعي... بدا لي شيئاً مضحكاً، الشمس استقرت في ثوانٍ على مقدمة السيارة تبدو حمراء مستعرةً.... حتماً إنه كابوس..

دخلتُ بيتي بحذرٍ وكأنّي أنقذُ سندريلا... أو ابنة السلطان.. شيءٌ ما في داخلي ينمو... لم يتمايز لي شكله بعد... ولكنّني أحسست به... يمكن تسميته شجاعةً أو تقمصًا لدورِ الفارس المغوار.... كنتُ وقتها مستعدًا للدّفاع عن الأرض إذا استدعى الأمر ذلك!!

وضعت الملاك المضئ على سريري، بدت لي كدمية (باربي) متمثّلةً في صورةٍ حقيقيّةٍ ولكن بجناحين..

ذهبتُ لأحضرَ صندوق الإسعافاتِ الأوّليّة وبعض اليود والشاش.... وبيني وبين نفسي لم أعتقد بأنها ستنجو..

رجعتُ فوجدتُها جالسةً على حافّة السرير بمسافة سنتيمترات، معلّقةً في الهواء بأجنحتها المتضررة... منافرةً لجاذبية الأرض ومنجذبةً لأحاسيسي...

هالةٌ مشعّةٌ تتفجّر في محيطها كأنّها ماسةٌ أو زُمرّدةٌ نادرةٌ... الجروح اختفت.... ثغرُها باسم.... لا أصدق ما أرى، الجروح تندملُ أمام عينيّ، الرّضوضُ تختفي.... تبدو لي أكثر شفافيةً.... الدائرة المضيئة في منتصف صدرها تضيءُ بحيويّة...

تمارس طبيعتها الملائكية براحة!!!

يبـدو أن الكونيـاك المسـتوردة أصـليّة... فأنـا لازلت أهذي في حالة سُكرٍ معلّقٍ لامحالة.... ملائكةٌ وإشعاعاتٌ وخُزعبلات..

اقتربَتْ منّي وأنا ارتعشُ إعجابًا بجمالها وخوفاً من ماهيّتها... فلربّما تكون من المفترسات... أو ربما تكون جنّيةً تريد أن تسكُن جسدي...

جعلَتْ من خصلات شعرها أمشاجًا تلتصق بجسدي... أنفاسها المنعشةُ الباردة كرائحة الإيثر والتفاح في غرفة العمليات أردتني قتيلاً في ثوان...

فجأة!!!.. أرى كويكباتٍ وأجرامًا سماويّةً تسبح بحرية... هذا الزُّهرة يُحلّق في مداره... وذاك نيبتون يبدو لي أكثرَ وضوحاً.... وهذا بلوتو آخر العنقود... وذلك عطارد ولكنه لايطارد أحدًا.... مهلاً انتهت المجموعة الشمسية أين أنا؟؟!.. أَلِجُ ثقبًا أسودَ غامضًا

لاينتهي. كواكبُ جديدةٌ، شموسٌ جديدةٌ وقمرٌ جديد.. يبدو أكبرَ أزرق، يشعُّ بنبضات جذابة.... مهلًا هناك وحوش تعيث فسادًا تقتل ملائكةً شفافة.. تمتص طاقة القمر الأزرق... براكين ثلجيةٌ مستعرةٌ تُغيِّر من تضاريس هذا القمر.... تمحو معالمه البريئة...

اتموسفير هذا القمر يبدو محاطاً بهالة غبار أسود... تحكم تنفسه، تحيطه كبوتقة احتراق.... ضوء القمر يختفي تدريجيًّا... يغرب عن الوجود...

أرى مجموعةً من الملائكة تمتطي كائنات برأسٍ بشريٍّ وأرجلَ بشريّةٍ، والباقي يبدو لي كصهوة حصان أبيض... يتجهون صوب ثقب دودي سُرِّي... يبدو أنها بوابتهم نحو الأرض.. أرى هذه الملاك القابعة أمامي معهم.. تبدو قويةً واثقةً من نفسها.. فوق رأسها تاجٌ فاقها حجمًا... وفي يدها مقبض سيفٌ ولكنّ نصله كسوطٍ مضيءٍ ، يبدو لي بأنها ابنة ملك هذا القمر!!

تنقطع الرؤية... فأفقد الوعيَ من شدّة الألم في جلدي... سياطٌ ناريّةٌ تلسعني في موضع اتصال خصلاتها بي...

غَطّيْت في نومٍ عميقٍ لم أصحُ منه إلا بعد حين...

استيقظتُ فلم أحسَّ بجاذبيّة الأرض لي،... أنا اليوم أنشط أَخَفّ.... مثل نسمة ربيعٍ مثل عليل الصّباح... سَرَتْ رعشةٌ في ظهري فتحركت مراوحُ هوائيةٌ ترفرف بنشاط..... يبدو أنني مرتفع عن سطح الأرض... لم أعُدْ مثل البشر بل في مرتبةِ الطيور النادرة...

اصطدم في ذهني خيال الملاك الفاتنة ليلة الأمس.... إني أبدو أصغرَ حجمًا، فغرفتي تبدو أكبر بكثير مما كانت... خطوطٌ مضيئةٌ تجري تحت جلدي.. شعري

ينتصب بهلع... أفكر أين ذهبَتْ تلك المخلوقة وأين أنا من هذا كله؟!!.. ما الذي حل بي!!

فجأةً اسمع في رأسي صوتها...

****

- تعال يا أنت...
- من أنا!؟؟
- نعم أنت تعال...
- ولكن أين أنتِ؟؟
- أنا في الغابة المقابلة لبيتك عند النهر...
- ولكن كيف ذلك.... أسمعكِ وأنتِ هنالك!؟
- ليس هذا من شأنك، فقط تعال...

قالت أخر كلمةٍ *تعال* وكأنها تستنجد. أوكأنها تنوحُ وتكفكفُ دموعًا حارة...

لم أعلم حينها شيئاً ولكني تركت الزمام للمراوح أو ربما الأجنحة الشفافة لتقتادني كيفما شاءت... تاركًا الحرّيّة لعقلي يلهو كيف يشاء بأسئلةٍ عجيبةٍ وحوارات جنونيّةٍ نزقة... تُرى لماذا انسلخت عن بشريتي؟؟ أشعر بمتعةٍ في هيئتي الحالية... ولكن كيف حدث كل هذا؟؟... أيمكن أن يكون هذا تأثير الثقب الدودي الغامض؟؟!

صورته وهوا يبتلعني بشغفٍ زادت من سرعة أجنحتي....

وصلتُ في جزءٍ من الثانية. وجدتُني أمامها وقد تقابلنا في الفراغ بين أعالي الأشجار.. حفيف الأشجار يسري في أذناي ببرودة... فتزيد من سرعة سيالاتي الضوئية..

يبدو أنها لاحظت اضطرابي... فكسرت حاجز الصمت بكلمات شكرٍ وعرفانٍ لإنقاذي لها من الجندي المأجور من قمر *خوبان خوت*....

قلت: أتعتقدين بأني فارسٌ أو محاربٌ فضائيٌّ في أفلام الخيال؟؟ لالا توقفي فكل مافعلته فقط هوَ إسعافك بالسيارة وأنت أكملت معالجة الجروح بنفسك كما تعلمين...

قالت: أريدك أن تنقذ قمرنا من ضروس سكان القمر المظلم خوبان خوت...

- كلا انتظري أنا مجرّدُ بشريٍّ عاديٍّ لا حول لهُ ولا قوة!!
- ولكنّني رأيتك كيف أفزعت الجنديَّ المأجور وكيف لاذ بالفرار حينما ظهرت أنت بمركبتك المنيرة!!

قلت: مركبتي!! قهقهتُ بقوة.... إنها مجرّد سيارةٍ وليست سفينةً فضائيةً...

- أرجوك!!!

تباً... كيف أُفهمها ذلك (قلتُ في نفسي)

- حسناً....ولكن لماذا يطاردك هذا الجندي؟!؟!

قالت: أنا ابنة الملك الأعظم* مونامك خوب*

ملك الأقمار والمجرات السبع... أمير الثقوب الدّودية وحارسها، منذ زمنٍ ونحن نحارب قُوى الظلام وبالتحديد قمر خوبان خوت...

ولم يشكلوا لنا أي تهديدٍ، حتى بدت تنفذ مصادر الغذاء من باقي الكواكب المجاورة فضعُفت قوانا ومات الأطفال بسبب ملوثات البشر السابحة في الفضاء.. فأنتم يا معشر البشر طيبون و خبيثون وغريبو

الأطوار... تلوثون كوكبكم وباقي المجرة... وتَدّعون حماية البيئة والكون.... وتتكلمون عن ثقب الأوزون وكأنها أولى مشكلاتكم!!

لاتدرون بأنّ هذا الثقب يصب في مياه القمر..

منذ زمن ونحن نراقبكم عن كثب... ندرس تحركاتكم القذرة والغبية...

أتذكّرُ أن والدي الملك ..قال لي ذات مرة كوكب** ارناخيلوس** والذي تسمونه أنتم الأرض سيكون سبب ضعفنا ونصرنا معًا.... لم أفهم ذاك الكلام حينها.... ولكني استحضرتُه الآن....

أنا هنا لعلّي أعالج الضرر الطائل بنا منكم... تيمُّنًا بنصيحة الملك مونامك خوب....

أذكر أنني حين دخلت الثقب الأسود المؤدي للأرض لحِقَني جنديٌّ مأجور... ولكنّه سُرعان ما اختفى حينما

صرتِ أنت في مرمى النظر... أيقنتُ حينها أن كلام الملك لم يكن محض صدفة، وأن بداية دخولي ارناخيلوس ستكون ذات نكهةٍ ممتعة..

بِطَلَّتكَ البشرية الجميلة... ترامت في ذهني هيئتك بجسد أبناء عرقنا *المورنامر*.. صغيرو الحجم حقيقةً... مقارنة بكم ولكنهم شجعان ... أهدَوْا أرواحهم للملك مونامك... ولم يتوارعوا للحظة في الدفاع عن القمر وعن حمايتي وتهريبي في إحدى الثقوب الدودية السرية... فلتحمِهِم الملائكة المقدسة أينما حلّوا مع العلّيّين...

قلت: هل ماتوا؟ .. أجابت بحسرة: نعم.

صمَتَتْ لحظةً وكأنها تتلو صلواتها وأدعيتها.... وأردفت تتابع:

في طريقي لارناخيلوس لم أعتقد بأني سأجد من ينقذني ويرمّم جراح قمرنا....

أرجوك يا أنت... أقصد بماذا ينادونك؟

أجبت: أنتِ تبدين جنيّةً خارقة، من المؤكد أنكِ تعرفين كل شيءٍ عني.... ولابد أنك تقرئين أفكاري الآن ، فلماذا تسألين؟؟ أنتِ حتى لم تدعي لي الخيار في التحول إلى المورنامر خاصتكم ... على الرغم من استمتاعي الداخلي.... بهذا الجسد الغريب....

قالت: سامحني ولكني لم أستطع كبح جماحي... فلَكَ قلبٌ قويٌّ ينبضُ بقوّةٍ وجبروت.... لايعرف الخوف.... لك عينان ذواتا إرادةٍ صلبة.. عرفت ذلك حينما كنت في حضنك ليلة الأمس... في شخصيتك صفات محارب مورنامر لا يهاب شيئاً...

ولكن لا أنا لستُ بجنيةٍ كما تقول.... فليست للجنيّات وجودٌ إلا في عقولكم الساذجة أنتم البشر.... حجة ابتدعتها عقول أشراركم... وصدقتموها أنتم بسهولة... شوّهتم بها عقول الأطفال...

قلت: حسنًا أنا مقداد... أعمل كطبيب امتياز... حياتي مُملّةٌ رتيبة، أبحث عن المتعة والإثارة والخطر... وضغطتُ بقوة على حروف *الخطر*، لا إرادياً!!

قالت: رائع!! ستجد من كل هذه الأصناف مايكفيك سنين ضوئيةً.. فقط ساعدنا أرجوك..

وبعد إلحاحٍ وافقتُ على طلبها... ليس بسبب حبي لأن أكون سوبر مان أو أحد أبطال الخيالة.... أو حبًّا للشهرة كـ فيليكس بومقارتنر... ولكن لأني عشقتُها بجمالها، بعفويتها، بلباقة حديثها وكأنها تنقر بأصابعها على بيانو ناضجٍ مفتوحٍ على مصراعيه.... فتردي كل

من لديه آذانٌ وقلبٌ إلى غياهب الولع والعشق... نعم لقد أحببتها!!

قبلْتُ بمساعدتها.....كتحدٍّ لها

بدت تتكلم بلغة لم أفهمها... بسرعةٍ رهيبةٍ: (حدشيسات نبجاف اكو لانمارك اسوس حدشيسات خاشوج)... الدائرة المضيئة في صدرها اشتدّت.... أوشام رقبتها تحولت لأسهمٍ تتجه للسماء، أجنحتها اختفت من شدة التوهج، لوهلةٍ أحسست أننا سنسقط لامحالة...

وفجأة الثقب الأسود عدوي الجديد... فتح فمه بمقدار ملعب تنس... وانتشلنا بسرعةٍ خاطفةٍ في تجويفه الحلزوني.... ألوان الطيف السبعة جزء من آلاف الألوان الجديدة تتوضع داخله.... رأيت نفسي وأنا طفل ألعب بالألعاب... هناك أبي يناديني ولا أرى منه إلا خيالاً أبيض.... جدتي تقذف بأرغفة الخبز الملتهبة

(التَنُّور) في الهواء كلاعبة سيركٍ محترفة... رأيت صورة صديقٍ قديمٍ لم أرَهُ مذ كنت في الابتدائية لا أدري لماذا أراه الآن.... معلمتي في الصف الأول تضع لي نجوماً كثيرة في كراستي... لمحت كواكب أخرى تحوي بشرًا غيرنا... كواكب محترقةٌ عن بكرة أبيها والكل هالك.... وأخرى ملئى حروبًا نوويّة.. وأخرى جديدة لم تلبث رجل بشريٍ واحدٍ أن تطأها.... وأخرى يوجد بها رجلٌ وامرأةٌ فقط يقفان تحت شجرة توتٍ وتفاحٍ ويفكران بقطف الثمرة..... ناديت بصوتٍ عالٍ أن توقفا فالجنة مكان لايعوض... ولكن لم يسمعانني!! يبدو أنه السيناريو نفسه يتكرر في كل الكواكب... المشاهد نفسها باختلاف اللقطات والأزمنة.. فالنهاية كلها محرقةٌ ونهايةٌ للعرق البشري وجميع الأحياء... حتى الصراصير لم تهرب من لعنة الحرق!!!

وصلنا بعد حينٍ للقمر الأزرق الأم... في جزءٍ منفصلٍ معزولٍ عن باقي القمر...

يبدو لي جبلاً شاهقًا.. استكنّا في كهفٍ بلوريٍّ أزرق يُطل على قلب القمر، هذا الكهف هو مخبأ...*نومينا* السّرّي أو الجنية كما اعتدتُ تسميتها...

قالت: انظر هنا من هذا الثقب، أ ترى البرج الشاهق؟؟ في قمته مكان خاوٍ، كان يحوي سابقاً البلورة المقدسة.. يُعتقد بأنها جزءٌ من عقد الآلهة، تهشم في المجرة وسقط جزء منه في القمر الأزرق... هذا يامقداد هو مصدرُ إلهامنا وخوبان خوت يعرفون هذا جيداً... فأزالوه فوراً.. ليهشّموا به عزائم المحاربين....

هدفنا الآن إيجاد البلورة المقدسة وإعادتها لمكانها ...

قلت: ولكن... كيف يمكننا اقتحام حشد القتلة بسهولة؟ .. ألم تحسبي ذلك ياجنّيّة!!!

- كفى!! لاتنادني جنّية. ليس ذلك مهمًّا.

سوف لن نحرك ساكناً هنا في هذا القمر..

قلت: وأخيرًا ستستخدمين السحر؟؟

ضحكت بسخرية وقالت: سنذهب للقمر المظلم ونحطم مصدر طاقتهم.. فإن استطعنا فعلاً، سيتحولون إلى تراب تذروه رياح القمر..

فجأةً اشتممتُ نفس الرائحة قبل انبثاق الثقب من الأرض.. رائحة نشادر أو شيءٍ آخر عضويّ... وكأنني عشت هذا المشهد من قبل أو كما يقال عن هذه الظاهرة بالفرنسية *دي جاڤو*... بدت تتمتم بنفس العبارات.. وفي ومضةٍ قمريةٍ انتقلنا إلى القمر المظلم..

شهدنا قمرًا معتمًا كأنه عاملُ منجم فحم... ينفث أتربةً كونيةً مقيتةً رماديةً.... كأنّ قلبه بركانٌ أو معمل حديدٍ وصلب...

لاعجبَ أن سكانه يريدون مكانا جديدًا ليُقيموا فيه.... فهذا المكان على وشك الانتهاء.. رأفْتُ بسكانه الأشرار... والتَمسْتُ لهم الأعذار لغزوهم القمر الأزرق النابض بالحياة...

بأعجوبة تسللنا إلى سطحه.... ولكن العجيب في الأمر أننا لم نرَ جنس مخلوق...

أرى في عيني نومينا إرادةً وعزمًا قويين... السوط كالنصل أزرق ملتهبٌ بألسنة زرقاء تعيث بالمعتدين فساداً... الأوشام تهتزّ بتناغم وكأنها ستقذف

ما بجوفها من أصباغ سوداء لتختلط باسوداد خوبان خوت..

أشعر بأنني قادرٌ مثلها بل وأكثر...

شموسٌ غائرةٌ مثل تفاحةٍ قديمةٍ منسيّةٍ في معطف الشتاء الفائت.... تُطل على هذا المظلم النافث... بدون طاقة...

تُخرج نومينا من طرف النصل عصًى طويلة بنهايتها نقطةٌ مضيئة.... ترميها في الجو فتذهب النقطة لتستقر في مكانٍ ليس ببعيد عنا... قالت أينما تكون تلك الشعلة الصغيرة يكون الملك والبلورة....

وبدون سابق إنذار.... سماء القمر دخلت في مخاضها قبل الأوان..... إنها تلد محاربين مجانين بلا حسيبٍ

ولارقيب... الحشود تتكاثر وكأنها تلد أفواجًا من الوحوش الجائعة تتدافع صوبنا من كل اتجاه...

****

جوف القمر المظلم يغلي ويخرج أبخرته المظلمة فتتناثر علينا بقايا الرماد فنندمج مع باقي ألوان القمر... كأننا منهم.... فلم يعرف المجانين إن كنا معهم أم عليهم!!

أصوات خروج الغازات من قلب القمر المظلم يشبه العزف على حافة قنينة كونياك فارغة، كالتي كنت ارتشفها في بداية لقائي بنومينا..

أذكر فقط أنني سحبت نصلي ونفضت يدي بقوة في الهواء... أريد أن أتحسس مدى قوته وتركيزه.... واتاني صوتُه الشجي كصفعة معلمتي في المدرسة حينما أشاغب، قويّ ومتماسك...

نومينا كذلك أخرجت نصلها ... بدونا كـ سلطعونٍ خرافيٍّ مدرّعٍ يَخرج من الموت بقرون استشعارٍ مضيئةٍ قاتلة.... يجتث من أكوام الخوبانيين بشراسة...

بدأتْ الجموع تتقاذف علينا من كل صوب.... فشرعتُ أُذيب كتلتهم بنصلي كأنهم أسياخ لحمٍ فاسدة.... أرميهم وأقذفهم أشلاءً ليمتزجوا بلون قمرهم الكئيب.... يبدو لمن يرى المنظر من فوق، كثوب أرملةٍ صينيةٍ أسود مزركشًا بالورود الحمراء الفاقعة.... والرماد يخفف من حدة وقتامة اللون....

ياإلهي نومينا أُصيبت إصابةً بالغة.... أشعر بأني غدوتُ بركانًا ثائرًا لن تطفئني بقايا أوساخٍ وأتربةٍ عفنةٍ حاقدة...

أعرف مُسبقاً أنها ستتعافى تلقائياً ولكنني غضبت!!....
وكأن أحدًا قد أضرّ بي.... وسوف أنتقم... وبشدّة!!

بدأتُ أردّدُ ماتتمته نومينا من بعيد.... حدشيسات اكزونامير سيش حدشيساتتتت.... وفجأةً عدوي الجديد يركُنُ ويحارب إلى جانبي..... يفتح فاهُ على آخره... يمضغ ويلوك ويسحب ماتبقى من قتلة مأجورين... ويتغوطهم في الفضاء الطلقِ كغذاءٍ لبكتيريا الفضاء وأوزون الأرض...

أذهب لمكان النقطة المضيئة.... فأجد ملكًا واقفًا بشموخ، شعره أبيض بهيّ الطّلّة يبدو بحجم طفل بشريّ يبلغ الحادية عشر ولكنه بعمر كهل... لاعجب فهو مونامري... يحمل صولجاناً مكسور النهاية ولكنه عاجزٌ عن الحركة... ينظر في عينيّ مباشرةً...

ويقـــــــول: فعلتموهـــــــا يـــــــا ســـــــكان ارنـاخيلوس.....فعلتموووووهـاااا !!!! وسقط مغشيًا عليه،وعلى ثغره ابتسامةٌ كانت وليدة لقائي به....

ابتسامة نصرٍ أو ربما ابتسامةٌ تنمّ عن معرفةٍ مسبقةٍ بمجرى الأحداث....

ألقِفُ البلّورة والملك، وأتمتمُ بما أسمعه من من ملاك قلبي نومينا... فينبثق الثقب هذه المرّةَ من تحتي...

أرى حشود المحاربين المجانين يحترقون بقلب قمرهم وكأنه انفجر واختفى وتلاشى في الفضاء...

البلورة توضع في مكانها....

القمر الأزرق يستعيد نشاطه وعافيته..... يتوهج بفرحٍ وحبور...

المجرات السبع تتغذى أيضا من انتصار سيّدها... أصوات غناءٍ وموسيقى المتصوفة.... وأصوات دفوف النصر تعلو وتصدح في المجرة.....

الملك يهنّئني ويدعوني لأتزوج من الفاتنة نومينا... أوافق بدون تفكير... يُنصّبُني رئيسًا للحراس الشخصيين.. يُطلق عليّ اسم *كوتوما*....

وهي تعني بالمونامرية ذا القلب الشجاع...

فجأةً عدوي الحقيقيّ يبزغُ من بعيد...

فأراه يتقدّم نحوي ببطء.... الملكُ يضحك... نومينا ترقص... أصوات الدفوف تعلوووا.... أنا خائف!!!

الثقب يبتلعني والجميع ينظر إليّ ويضحك ... أصوات أجنحتهم ترفرف معًا كمملكة نحلٍ...

لاااااااااااا لاااااااااااااااا لاااااااااااا !!!!

ضوءٌ ساطعٌ يتوهج في عينيّ.... افتحُهما بصعوبة.... إنها الشمس!! ويبدو لي أنها شمس الصباح.... جسمي متقلّص.... عظامي تطرقع .... الدماء متناثرة هنا وهناك!!!.... مقود السيارة في يدي وأنا والسيارة في منتصف قلب شجرة صنوبرٍ عملاقة!!!

يا إلـــهي ما الذي جـــرى؟؟؟!!!

لا أريد الرجوع للواقع... لن أُصدق بأني كنت أُهلوس....

ردّدْتُ جُمَل نومينا عشرات ومئات المرات.. (حدشيسات نبجاف اكو لانمارك اسوس حدشيسات خاشوج...)...،، أُردّدُها بحرقةٍ والدموع تملأُ وجهي..

- أين أنت أيها الثقب اللعين؟؟... أين أنت!؟؟

أعرف أنك تسمعني... اللعنة آ ه ه ه.....

ولكن شيئًا لم يتغير... أمواج شطّ البُردي لازالت تتلاطم.... فلطامها فضّاح وكل الأمواج إلى هلاك.... وشوشة النوارس من بعيدٍ بنفس الصورة المُملّة.... تؤكد حقيقة الواقع المريرة....

خرجت من المستشفى بعد ذلك الحادث ببضعة رضوضٍ وكسورٍ وارتجاجٍ في المخ ولكنّني سأعيش....

كلّ ليلةٍ قمريّة آتي إلى هذه البقعة وأتمتم بحرقةٍ جُمَل نومينا معشوقتي..... على رائحة الإيثر الطبي....

لن أفقد الأمل!! لن أتوقف!!

من كوتوما ارناخيلوس... إلى نومينا مونامك خوب...

((أُحبُّـــــــك))

****

انتهت الساعة 3:00مساءً

2013-7-4

صورة التقطتها في باريس سنة 2012 . . .

باريس ...

أحلامٌ ضـــائعة

أذكـرُ ذلـك الفجـر البـارد، يرتـدي عبـاءة الضباب.. درجة الحرارة في برنامج الطّقس في جوّالي تشير إلى خمسة تحت الصفر... كنت حينها واضعًا جبهتي على النافذة لأبدد الحرّ الخانق.. لكثرة ما احتسيت من نبيذٍ ألهب جسدي ... فكأنني بهذي الحركة أُفرغ جزءاً ولو باليسير من هذا الحرّ.... أُوازن بين حرارتي العربية وصقيع باريس القاسي..... ويالها من معركةٍ خاسرة..... كنت وقتها نزيلاً في فندق "كامبنيل" الباريسي... في منطقة بوبيني بابلو بيكاسو المتواضعة البعيدة عن التزلف والتبرجز المُهلك المعهود في باريس عاصمة الأنوار والأناقة وأغلى الأماكن.....أغلب سكان تلك المنطقة هم من الأسبان والأفارقة والمغاربة..... والسكن في الفندق كان ملائماً لما يقدمونه من أسعار رخيصةٍ بدلاً من دفع إيجارات باهظة، وكنت لأخسر الكثير من اليوروهات .....

انظر من النافذة المبللة بالبخار...

أشهد وقتها على وحشة غربتي بين أزقة تلك المنطقة متفتتةً كبقايا أوراق الشجر الشاحبة....وحشتي الوحيدة تجلس في قنينة شامبين فارغة على قارعة الطريق ... استنزف آخر قطراتها متسوّلٌ على ناصية الشارع وتركها لمصيرها المجهول.....حبّي لهذا المكان يجذبني وغربتي المرّة.. تُهدهدُ أغاني أمي وجدّتي بصوتٍ مُوارٍ للحنين..... تهدهد همسات الحب الأوّل.... حبّي العذري لبنت الجيران ذات القرن المضفور والخدود الرمانيّة.... وها أنا الآن أتخبّط بين أحضان *مادلين كواسركوف* الرّوسية الأصل... فرنسيّة الجنسيّة.. بشعرها الأشعث مثل أشعة شمس الصباح الدّاخلة في غابة بولونيا الخضراء ..... سكيرةٌ عِربيدةٌ تعشقني وأعشقها بجنون .....

ذات مرة كانت تعانقني من خلفي وتصرخ بجنون بالفرنسية (موئيين)...وأنا ألُفُّ بسرعة ...وقد أغلقنا أعيننا.....أكاد لا أنسى خصلاتها وهي تداعب صلعتي الناصعة.... لقد أحببنا بعضنا بصدق ، دون حواجز دينيةٍ أو عِرقيّة... كُنّا فقط كائنين من مشاعر وأحاسيس... كنا مجرّدين من أيّ عِرق أو لون أو عقيدة.....كان التمييز دائرة ونحن خارجها.... لم نكن حتى محسوبين على سكان فرنسا.... كنا أشبه بملاكين يهيمان بين الحدائق الغنّاء وتماثيل القدماء.... لم نكن نشغَر مكاناً أو حيّزاً يُذكر نحاسب عليه....نمارس الحب في الهواء دونما شروطٍ أو عقودٍ تُقيدنا....

كمسلم على الورق...لاتزال لي بعض الاتصالات التأنيبية مع الضمير من حين لآخر ...ولاتستطيع

زجاجــة النبيــذ المعتقــة منــذ1845 إشــكام بســملاتي وتشهداتي وتسبحياتي عند رؤية شيءٍ جميل...

فلتربيتـي فـي كنـف بيت جدي المحـافظ اثرٌ كبيرٌ فـي تمسّكي إلـى الآن ببعض العـادات الإسـلامية ..... لـيس بشـكلٍ كبيـر، إنّمـا يُمكـن تمييـزي فـي محطـات ميتـرو لانتـوريال ...عنـدما أتثـاءب تراني أضـع ظهـر يـدي الأيسـر علـى فـاهي، متمتمًـا حينهـا بالاسـتغفار...تلـك الحركة لاتخطئها عينا مسلم فضولي من خلف الحـاجز الزجاجي الفاصل بين محطتي الانتظـار.....حتـى أننـي انطـق البسـملة قبـل شـربي النبيـذ الأبـيض.....دونمـا إدراك..

....ماذا يمكنني أن أقول!!!؟

؛إنها العادة.

انطلقت بتكاسل إلى العمل....أجُرُّ ذكرياتي وأحلامي التي لم تتحقّق ... أردد: دو ... ري ... مي .... فا ... صوو ... لاا.... سي.... دووو....

جيدٌ أنّني لم أنسَ ترتيب السلم الموسيقي بعد!!!

دخلت لمبنى الشّركة التي أعمل بها...

صوت الآلة الطّابعة القديمة يطرقع في أذني ... يندمج في حالة التوَهان التي أعيشها هذه الأيام في مكتبي القابع في الطابق العاشر لإحدى ناطحات السحاب في فرنسا...

أيقظني توقّفها عن التنشيز ..أدركتُ أنّ زميلتي في المكتب (كيبوشا) الكوريّة تقوم بمراقبتي بعينيها الصغيرتين.... لا أبدو لها بكامل وعيي هذه الأيام... بدت تتمتم بالفرنسية الركيكة (أيّها العربي الفاشل).... خُيّل لها ذات يوم أنني أريد الانتحار، عندما رأتني

جالسًا على حافّة النافذة بجانب أعشاش الحمام وباقي الطيور... رجلاي تسبحان في ضباب فرنسا البارد بحبور...

صرخَت ... ثمّ انتشلتني بقوّةٍ للمكتب..... تعجّبت من أين لها بكلّ هذه القوّة على الرغم من صِغر حجمها كعـُقلة الإصبع!!!

قالت: أ تريدُ أن تنتحر؟!! ماذا دهاك وما الذي يدور ببالك؟؟..ستسقط يا مغفـّـل!!

ضحكتُ قائلًا: نحن ساقطون بالفعل من هذا البناء ... ساقطون بالمقلوب في آخر طابق، فوق كومة من القذارة يا كيبوشا!! ....ألا يبدو لكِ هذا انتحارًا كافيًا؟!!

كيف للميت أن ينتحر؟!! *** هاهاها (هكذا أكملت)

لم أُعرّفكم بنفسي....اسمي (مُعين) ... أعمل موظفًا في أرشيف شركة حقيرة لإعادة تصنيع الورق بفرنسا.....

هنا يجمعون الأوراق النّتنة المشبّعة بعصارة أمعاء سِكّيري أوروبا كلها، ومن ثم يقومون بإعادة تصنيعها.... عنّي شخصيّا لم أستعملها مطلقاً لأنها التلوث بعينه.... كان حريا بهم أن يسمّوها إعادة التّلويث الجُرثومي للعالم....

حُلمي أن أكونَ مدرّس موسيقًى مشهورًا....ولكن، ولأنني أنحدر من عائلةٍ مسلمةٍ، لم أستطع إثبات نفسي أمام صدّهم لي..... فموت أبي وظروف منزلنا جعلتني ألتحق بأوّل قطارٍ للصُدف ... رمَى بي هُنا!!

لم تستهويني فكرة الإعجاب بالنساء قبل أن ألتقيَ بـ(مادلين) لأني وباختصار لم تجذبني أيٌّ منهن..... كنت قد رسمتُ في مخيّلتي لما ستكون عليه فتاة أحلامي.... تلك الفتاة ذات السبعة والعشرين ربيعًا...

طويلةٌ رشيقةٌ فاتنةٌ ناضجةٌ بكل المعاني قلبًا وقالبًا.. ببشرةٍ خمريةٍ صافيةٍ مشعّةٍ بألوانِ البرونز المُتورّدة....

فجأةً، و أنا انظر بتبلّد لـ كيبوشا في تلك اللحظة الغريبة التي توقفَت هي فيها عن الرقص فوق الآلة الطابعة..... تفرّست في الشكل الجديد الذي أطل من أحلامي إلى الواقع ... انبثق أمامي بوجهٍ نظرٍ .... يشبه هذا المخلوق مادلين إلى حدٍّ كبير، تشابه يكاد يكون تطابقًا، ولكنها ليست بمادلين .... أطلّت بوجهٍ يحوي كلّ معاني التّرف العاطفي المفقود.... لديها قرنٌ ذهبيٌّ مضفورٌ كبنت الجيران، يلتفّ على خصرها بغَنَجٍ ودلال....وينسدل باقيهِ على الأرض .

عدّلتُ من جلستي وأنا أنظر إليها.... أقبلتْ علي بِزيٍّ كرنڤاليٍّ مبهرجٍ يخرخش كلّما خطت به نحوي... نامت بصدرها على المكتب وبدت تحرك قدميها بتمايل...ناظرةً إليّ بخبث وثقةٍ كبيرين..... هَمَسَتْ لا..لا أقصد أنها تكلّمَتْ.....في الحقيقة بدا صوتُها لي همسًا ...لاتستطيع كيبوشا أن تقبض عليّ متلبسًا معها.... تلك الكورية الفضولية...مؤكّدٌ أنها تتساءل من الفاتنة مع معين!؟ ومن أين يعرفها هذا المغفل...

أصغيتُ لهمسها وهيَ تقول:

أ تُعجبك حياتك التعيسة هنا مع هذه العلقة؟؟ .... وأردفَتْ تُقهقه .... لو كُنت مكانَك لكنت انتحرت بشرب الحبر السّام.... أَوَ ليسَ كثيرًا عندك؟؟! ولكنْتُ قتلتُ معيَ هذه الكوريّة النّكرة !!!

أ راضٍ أنت عن حياتك هنا يا معين؟ ....لمَ هذا الاستسلام والخنوع؟..... لم يكن مقدّرًا لك العمل بهكذا مهانة ،،،، أنت ابن الأعراب، أنت العزيز الأبيّ.... كيف ترضى لنفسك الذل والملل في هذه المدينة....أنت بعيدٌ عن أهلك دونما نفع....

قَدَرُك أن تعود أدراجك ... قَدَرُك أن تتزوج ذات القرن المضفور.....هي الآن تنتظرك... تفكّر بك.... طردَتْ عنها كل الخُطَّابِ وأقصَت عنها كل العيون.... هي تخصّك بالحب أيّها الأبله.... اذهب إليها فهيَ الآن مكتملة النضوج...واللبيب بالإشارة يفهم...

ارجع وعِشْ معزّزًا بين أهلك..... ولاتحزن إن طافك قطار الفرص والفن .....لايهم إن فاتك، المهم إلى أين سيودي بك؟، ربّما إذا سلكت طريق الفن لكنت قتيلاً في إحدى الحفلات الصاخبة، ولتَمَّ دفنك وتأبينك بصمت من قبل مجهولين في تلّة ما....بجانب

القمامة.....أو تصير متسولاً في الشوارع .. يعزف مقطوعات شتراوس وبيتهوفن بإتقان ...تنتظر قروشًا لاتوفّر لك ثمن فنجان قهوة..... اقنعْ بحياتك وبنفسك.... ومارس الفن مع البشر بكرامةٍ ورفعة..... مارسه مع أهلك بالحنان والقرب.....فغربتك تأكل أحشاء والدتك كلّ يوم.....الطِفْ بحالها وارجع...

قالت: فقط لاقيني في مخيم السّامبا في جزيرة دورو.....وخرجَتْ بسرعةٍ على أطراف أصابعها كممثّلةٍ بارعةٍ أدّت دورها بإتقانٍ واحتراف... وهي تخرج بثقةٍ وفرحةٍ من على خشبة المسرح وخشبة مكتبي.... وكأنها خشيَت أن تقول المزيد..... توقّفت قليلًا على باب المكتب وأشارت بإصبعها كأنها تقطع رقبتها ...قاصدة بتلك الحركة كيبوشا....أعقبتها بضحكةٍ رقيقة....

لحقْتُ بها، ولكن الأوان قد فات سلفًا..... كنت أُريد إخبارها بأني كنت أُفكر بها قبل أن تطل هي عليّ بلحظات .... رجعْتُ بأقصى سرعتي، لأسمع ما قد تقول كيبوشا.....ولكنني وجدتها تمارس النقر الإيقاعي بانسجامها وتركيزها المعهودين... يبدو أنها لم تنتبه إلى لاعبة السيرك... الأمازونية المتمردة التي كانت هنا قبل ثوان...

أ يمكن أن تكون مجرّد تخيّلات؟!!

طردت كلّ تلك الأفكار من رأسي ،، وأطردتُ استغفر وأتعوذ من الشياطين كلها.....ولكنها أبت إلا أن تكون في منتصف فكري....

.

رحت أدنْدِنُ ذلك العنوان على أنغام لحنٍ فرنسيٍّ مشهورٍ لا أعرف ما تعنيه كلماته.... رحت

أدنـــــدن.......((مخــــيّم السّــــامبا...جزيــــرة دورووو...جزيرررة دوروووو))......

تُرى.. أين تقع جزيرة دورو؟؟....وماهو مخيم السّامبا الذي تحدثت عنه؟؟

وأنا في طريقي للفندق...لمحت إعلاناً عن مخيم يقام في جزيرة دورو .... مكانه بالقرب من إسبانيا.

اقتربت من مكان الإعلان متردّدًا في شراء تذكرة....

لكنـي تخليت عن الفكرة ....ركبت الميترو فوجدت ملصقات لنفس الإعلان على جزيرة دورو....يبدو أنه محـتّمٌ عليـا الـذهاب، علّنـي ألتقـي مـع الأمازونيـة الفاتنة...ذات القرن الذهبي.....

في المساء بعد مناوشات ومناورات مع نفسي حجزت لنفسي تذكرة....تاركًا العمل بدون إجازة ولا إذن ضاربًا بكل تلك الارتباطات عرض الحائط....

لا أهتم، فليذهبوا للجحيم....لن أخسر أكثر مما خسرت في حياتي....

ذهبت بعد يومين لميناء (أونتاو) حيث السفينة التي حملت الرقم (008-01)، كانت تجثو في انتظارنا لتقلّنا لجزيرة دورو.... وهناك أمضيت بقية الأمسية على أن نصل في صباح اليوم التالي....

قرأت كاتالوج الرحلة وماهي مميزاتها.....وجدت مخيم السامبا الذي حدثتني عنه تلك الأمازونية الغريبة....

وفعلا كان القبطان في الموعد..... وصلنا صباحاً على أصوات صياح النوارس والشمس الساطعة..... نعم،

إنه الدفء يتخلل جسدي يجفف رطوبة استطونته سنين طويلة.... نسيمٌ عليل...يبهج الأرواح.....

آهٍ كم كنت محتاجًا لهذه الرحلة، لكن...عجبي!!! ماذا تفعل كيبوشا الآن يا ترى؟، تراها تشتمني لأني تركت لها كومة أوراقٍ على مكتبها؟؟ هاهاها...

حللنا ضيوفًا في إحدى الفنادق السياحية....وفهمت ماهي الركيزة القويه التي جعلت من جزيرة دورو وجهةً سياحيّةً عريقة....

نعم.. إنه مخيّم السّامبا الذي يُقام حصريًّا مرةً كل عام.....مخيّمٌ عملاقٌ يستقطب المئات من شتّى أنحاء العالم.... يجتمعون لاحتساء مشروب الشعير وعصارة التمر الهندي المخمّرة.... الناذلات وهنّ من النسوة الجميلات، يتسابقن في حمل أكبر عدد ممكن من أكواب شراب التمر الهندي...بلباسهن الجذّاب، مع

صُراخ الضيوف، والصّخب المتواجد المتأصل في هذا المكـان.... إنهـا فرصـةٌ لتكـوين صـداقات جديـدة مـع مختلف الجنسيات..... يشبه لحدٍّ كبيرٍ احتفال اكتوبر في ألمانيا...ولكن بشكل أكثر حميميّة.... يكفي فقط أن ترفع كأسـك فـي وجـه مـن يقابلـك وتقـول لـه بصـوتٍ عـالٍ.....(أدولا دورو).... هذا وحده كفيلٌ بـأن يجعلكم أصـدقاء فـي ثـوان...عجيـب لكلمتـين مـا تفعلانـه مـن كسـب حـبّ إنسـان.....عقـولٌ متحـررةٌ آتيـةٌ مـن جميـع بقاع الأرض لاتريدُ إلا أن تتحرر من قبضـة الإيتيكيت والبروتوكولات الغبيّة..... هنا ... هم فقط بشرٌ بقلوب تنبض حبًّا ووداًّ.....لامجالَ للاختلاف ولا للكره....

الحبُّ كلُّ الحبِّ أُختزِل في بقعةٍ صغيرةٍ اسمها دورو...

سِباقات وألعـاب وضـحك إلـى الصباح مـن كل يـوم.... يتضـمن أيضًـا المهرجـان زيـارة الكهـوف الغامضـة بجزيـرة دورو، والتعـرف علـى أسـطورة الملكـة

سيكلامانه وكيف تم سحرها على هيئة نخلة من قبل مشعوذات الجزيرة.....تحت تحريضٍ من زوجة أبيها!!

الناس يأتون من جميع أنحاء العالم لالتقاط الصور بجانب تلك النخلة كأيقونةٍ للجمال والخلود....

صورة الأمازونية المتمردة لم تفارق بالي مذ خرجت من مدينة البرد والصقيع، بجسدها الناجع وخسرها الميّال.....تسلب العقول والأذهان....

ومن كثرة ما احتسيت من تمرٍ هنديٍّ لذيذ...بدأت أفقد إدراكي وإحساسي بالواقع..... اهتزت الرؤية عندي واختلت القواعد الفيزيائية لما أرى.....أجسادٌ طائرةٌ وراقصون يسبحون فوق الخيام الصاخبة!!

في كامل فقداني لرشدي في تلك اللحظة جاءني صوتها الشجي، ليُترف حنايا الشوق والوئام.....نعم، إنّه صوتُها....

قالت: أ قدِمْتَ هنا لأجلي، كي تراني؟؟....أووه معين أنت شاعريٌّ للغاية....ولكن!! ماذا عن العربية ذات القرن المضفور....ألا تُعَدُّ هذه خيانةً في حقها؟؟...وماذا عن مادلين معشوقة الخاطر؟؟.....

لم تعرف اسمي بعد.. أ ليس كذلك؟!!

أُدعى الملكة سيكلامانه....تيمُّنًا بإحدى زهور الجزيرة....

قلت: ماذا؟؟ أنتِ الملكة نخلة!!؟

قَهْقَهَتْ.... وأنا أنصِتُ واحتسي ماتبقّى في كأسي من منقوع التّمرمحملقًا في بقايا التمر الهندي والبذور الصغيرة في قعر الكأس.. ارتشفتها دفعةً واحدة وكأنني

على استعداد تام للدخول بعالمها الخيالي والإدلاء بالولاء والطّاعة.

كنت حينها وحيدًا عند النخلة ..... أسمع من بعيدٍ صراخ أصحاب الخيام والموسيقى الصاخبة...بين أشجار * المنقروف * المستوطنة.....

- يا إلهي!!!
- ما الذي أتى بي إلى هنا؟؟؟ وكيف قطعت كل هذه المسافة؟ وكيف تسلقت وحدي؟....

يُفترض أنه من الصعب الوصول إلى هنا من دون رُكوب (الفونيكليغ) أو كما يُعرف بـ(التيلفريك)...المُعلّق بالأسلاك الحديدية.

الخرخشة ذاتها سمعتها ثانيةً خلفي مباشرةً!! .....تقترب رويدًا رويدًا.....أنفاسٌ شهيةٌ من وراء حلمة أذني ... أصواتُ طبولٍ وأغانٍ غريبةٍ أسمعها وكأني عِشت حقبة الملكة سايكلامانه منذ 1800سنةٍ مضت.... رحت أرقص على أنغام أنفاسها وأدور وأدور في حلقات. صارخًا بأعلى صوتي:

سايكلامانه ....سااايكلامانه .....

تعثرت وسقطت بسرعةٍ جنونيةٍ من فوق الشلال عند النخلة.

واتاني صوتٌ قويٌّ أرداني للواقع المرير:

معين ... معيـــن.....هل مازلت مستغرقاً في أحلام اليقظة؟

إنه صوت صديقي أحمد الفلاح، يوقظني من نومي لنذهب للجامعة ، يبدو أننا تأخرنا عن

المحاضرة.....وأن كل ما جرى أضغاث أحلامٍ في حياةٍ أخرى لم أعشها يومًا ....وأن السقوط الذي سقطت ليس إلا سقوطي فوق سرير غرفتي..

- تباً لك أحمد.. لماذا ؟...لمـــاذا؟؟!!

لقد كنت وشيكاً من معرفة شخصية سايكلامانه ... مخيم السّامبا..... جزيرة دورو!!!

قال: ماذا تهذي يارجل.....!! أنت تحلم كالعادة!!

قفزت وأنا أضحك وكأن التمر الهندي في الحلم لايزال بكامل مفعوله معي.....نهضت بنشاط إلى الحمّام.... تاركاً صديقي يحملق بي بتعجب كبير....

★★★★★★

..انتهت..

2013-2-2

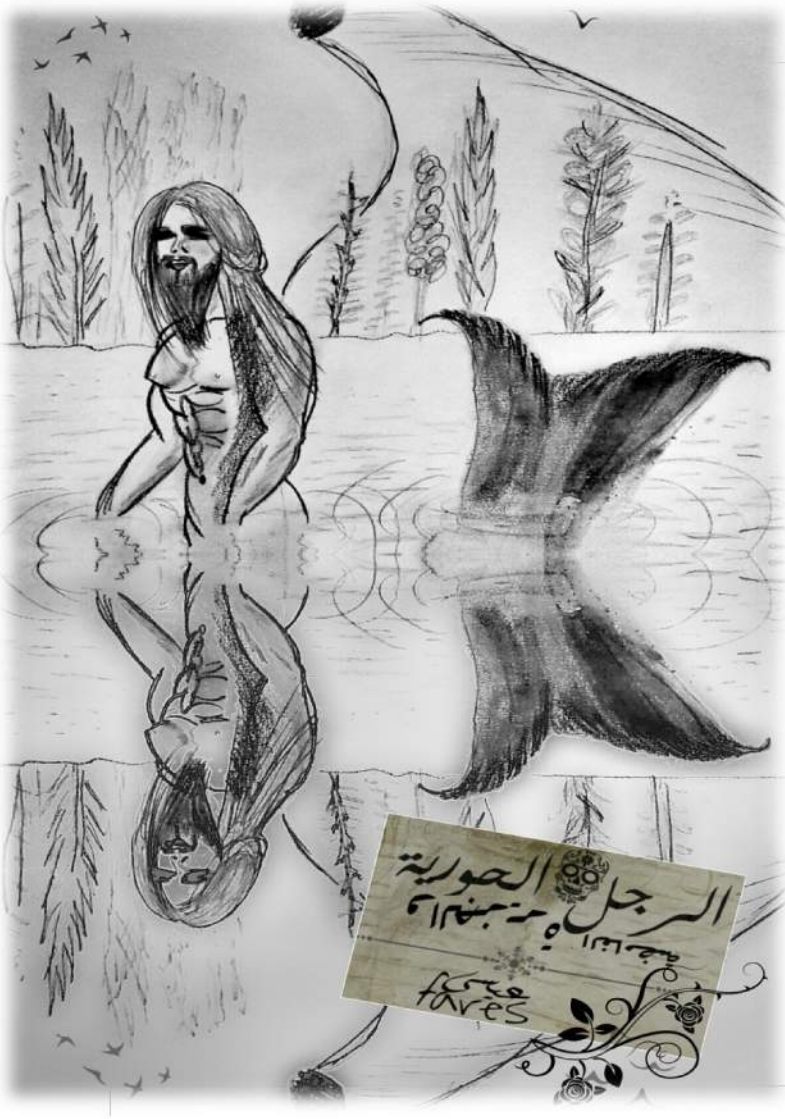
الرجل الصورية

الرّجُل ...
الحُوريّة

زُرقـــة البحـــر .....والشّـــمس السّـــاطعة البرّاقة....الرمل الفضّي والقُرمزي....أصداف البحر... سرطاناتٌ نشيطةٌ تُراقص الأمواج... بِلا كلل...قنّينةٌ تدور على سطح الموجة.....أعشابٌ سوداءُ وثعابين أُسطورية.... صخورٌ بركانيةٌ ناتئة.... حوريّات بشعةٌ بثديٍ واحد وشعرٌ حريريٌّ فاحِمُ السّواد .... تُدندن للبحّارة بأنين مغرٍي...ليلقَوا حتفهمُ اللّذيذ...

منارةٌ مهجورةٌ تطلقُ العنان لوَمَضاتٍ هزيلةٍ غمرتْها مُلوحةِ البحرِ وأعشاشُ النّوارس...

أرشُفُ الشايَ السّاخن في بيتي الجبليّ البعيد عن البحر وفي أحضاني معشوقتي جانيت فلاجوس بعينيها الخضراوين وشعرها القصير الناعم...

لازِلتُ أذكر تلك الأيّام، حينما غرِقت سفينتنا ونجوْتُ بأُعجوبة. أذكرُ حينها أنّي سمعت ذات الأنين

السّاحر من تلك الجميلات اللائي يظهرن بشعورٍ طويلةٍ وأجسامٍ ممشوقةٍ .... لكنّني لا أرى تفاصيل تلك الوجوه بوضوح..

حتمًا ذاك الحدث هو الذي أعطاني القوّة لأجدّف تلك المسافة لمدة يومين دون طعام أو شراب....

تذكّرتُ فِي صِغري ما كانت ترويه أمّي عن أساطير الحوريّات السّبع، والمارد الزّمُرّدي والسّاحرة... كانت تظهر فيه الحوريّات بجمالٍ يفوقُ الحدود ويسلُب الألباب من قلبِ الأنس والجان...

حتمًا أمي مخطئةً.... فما أراه الآن ليست سوى مخلوقاتٍ قبيحةٍ بشعةٍ تأكلُ الأسماك وسرطانات البحر النيئة دون رحمة.. بصوتٍ مقزّزٍ ينُم عن التوحّش...

أسنانُها صفراءُ مُسْودّةٌ مُخضرّةٌ حادّة مسنّنةٌ....خُصّصتْ للنّهش والافتراس...

بشرتُها صافيةٌ نقية بِلا شوائب....لها ثديٌ واحدٌ في منتصف الصّدر يواجهُ الشّمس بتحدٍ وشموخ .... من جماله لن ترى عيوبَه وتشوهه.... عظام العمود الفقري تبرز قليلاً من الظهر، الأرداف ملتصقة بتفانٍ مغلفة بشرنقة برّاقة تتغير مع تغيير حالة الطقس وحالةِ المدّ والجزر.....

اتخذت من صخور الجزيرة مقاعدّ...تبدو من بعيد كتماثيلِ الآلهةِ الإغريقية...

فور اقترابي من الشُّعُبِ المرجانية تساقطت عليّ الحُورِيّات من فوقِ الصُّخورِ وأصواتها البشعة، أفقدتني وعيي... بدت كطنين فاق قدرتي على السّمع....

تم تقييدي حينها بسلاسلَ بحريّة عُشبيّةٍ شائكة .. في إحدى المغارات في الجزيرة... كنتُ أَرَى

تِلك الحُورِيّات وهُنّ يُقِمْنَ مراسم السّحر الأسود... قناديل بحرٍ مملوءةٍ بالهواء تطير في الكهف. نجوم بحرٍ تغطّي الجدارَ كفُسيفساء، تتباينُ ألوانُها بين البنفسج والبرتقالي الفاقع والأسود النفطي... هياكل حيتانٍ وكائناتٍ بحريةٍ منقرضة... وجماجمُ بشريّةٌ بذيولِ حوريّات..... أظافرُهُن طويلة وشعورهن ناعمة..

حتمًا يُرِدْنَ سلخي حيًا، وتغليفي بالرّمال الساخنة!!!

يهذين أو ربّما يُتمتمن بِلغةٍ لستُ أفهمها.... الكثير من اللّام والميم والنون الحادّة.... لم أستطع فهم حرف، ولكنّي استنبطت أنّي في موقع فريسة مُعدّة للنّحر... لَفَتَت انتباهي حوريّةٌ حزينةٌ ...وجهها مغطًّى بالشعر ولاترى إلا بعين واحدة زرقاء زرقة السماء....واضح بأنها ليست متفقةً مع باقي سربها ولو في السّر....

سمعت لحظتها غناءً وطبلاً وزمرًا وبُوق نصرٍ ووصولٍ، خارج المغارة.. حتمًا هم بحّارةٌ أو قراصنةٌ ربما قد دلق بهم الموج إلى هنا..... قفزَتْ حينها الحُوريّات بسرعةِ البرق خارج المغارة.. حتمًا يُردن القبض على المساكين...

وبعد أن بقيت مع الحورية ذات العين الواحدة الزرقاء الزمردية لوحدنا حدثتني بلغتي البشرية بشيءٍ من الرّكاكة... أسقتني ماء الورد ورحيق البنفسج المتواجد وبكثرة على الجزيرة...وطبعت على شفاهي بقبلة مالحة طويلة، تنشقتني ولثمتني وفكّت وثاقي.... ولكني لم أستطع الرّكض، فأرض الكهف كانت صخورًا مسنّنةً مُدبّبةً خشنةً حادّة ..... وبِأُعجوبة لذتُ بالفرار، تاركًا الحوريّة القبيحةَ الطيبةَ، تحملق في الفراغ بابتسامةٍ ماكرةٍ... وأنا أنظر في ثُقب النور نهاية الكهف... يبدو كحبّةِ لؤلؤ مشعّة..... لم أستطعْ فهمَ سرّ

تلكِ الابتسامة الشامتة.... لكنني صببت جلُّ تفكيري في كيفية الهروب.

رجلايَ تنضحُ دماً أصفرَ مالحًا... يجعلني أنزلق بين الصفائح التّكتُونيّة الحادة للكهف ..

الحوريّة لاتزالُ تنظرُ في الفراغ....الثُّقب المضِئ يكبر تدريجيًّا كُلّما اقتربت منه.. أصوات صراخ البحّارة في الخارج... النّوارسُ تزعق كالغربان الجائعة.... وجدت نفسي حينها واقفًا في قمّةِ بركانٍ خامدٍ مائل لجهة البحر كأنه إبريق شاي معدٍّ للسّكب ...

فكرت لثوانٍ ماتُراني فاعل؟....ليس لدي رصيد من الطاقة لأكمل الهرب... وليست لدي أجنحةٌ لألوذ بالفرار... رجلاي تنضح باستمرار دؤوب.... السماء تداخلت مع زبد البحر في صورةٍ خرافيّةٍ ...أشعُر بأن

الكهف يبتلعني.....أستطعم مرارةً في فمي....أسمع وشوشة الحوريات وهن يُتمتمن ... البُركان يقذفني كحممٍ عَفنةٍ ملئى بالعوالق والرواسب الضّارة... شعرت بعدها ببرودةٍ في محيطي ... وحرقان في رجليّ .....أصواتُ صراخِ البحّارة اختفت وتلاشت.... أصوات النّوارس اندثرت....أصوات فقاقيع وهرير.....الرؤية هلاميةٌ كحُلُم.....الحورية الطيبة أراها من تحت قمة البركان تنظر بحزنٍ طيّبٍ ينوء بالحُب المستحيل بين مخلوقين من غيرِ جنسٍ وغير لون.. ليس لهُما سبيل في الحياة معاً...

لا أذكر ماذا حصل حينها.....ولكنّني استيقظت في الجانب الآخر من الجزيرة... هكذا حدثت نفسي لأني أرى الإبريق المائل صغيرًا على الجهة الأخرى للجزيرة... ولكنّه هذه المرة مختلف.... يُخرِجُ أبخرةً رماديّةً قاتمة، تتصاعدُ كعمودٍ للسّماء ولا يظهرُ له

نهايـةُ.... النّـوارسُ تُحلّـقُ فـوق رأسـي بكثـرة.... تُراهـا تركت جثّتي هناك وجاءت لتقتاتَ من روحي....

....اذهبي اذهبي من هنا أنا لست بجيفة تلقفينها.....

انظـر لرجلـيّ فأجـدهما عظامًـا بيضـاء جيريـةً بـدون لحـــم. إنّـــي أرى بوضـــوحٍ الأوردة والشـــرايين والأعصـــاب. والأوتـــار.... تبًـــا!!! مـنِ التهمنـــي وأنـــا نـائم!!!!!؟؟؟

أتحسَس أسفل ظهري فـأحس ببروزٍ غريـبٍ مضـحك، وحراشـفَ فضّـيةً تظهـرُ علـى جنبـاتِ أقـدامي، تبـدو بنفسـجيةً خضـراءَ مخضـبةً بـألوانٍ تـزداد كثافتهـا تحـت الشـمس... أُحـسّ بـالعرق يخـرج مـن تحـت الحراشـف الجديدة.... الذّباب يتزاحم علي رائحتي التي باتت مثل سمكٍ عفن.... ذبـابٌ أخضـر وأسـود وأحمـر... يصـارع

للبقاء على جلدي ... فلا يوجد مكانٌ شاغرٌ للالتصاق والامتصاص....

لففتُ أوراق الموز على رجليّ ومضيت أبحث عن مخبأٍ لي في جزيرة الوحوش.... لم يعد يستهويني البرّ... أصبحت أمضي الساعات في البحر استمتع بالملوحة رغمًا عني...

رجلايَ تزداد نحافةً .... القشور غطّت أسفل ظهري ورجليّ.... شرائحُ لحميّةٌ مثل أرجل البطّ تخرج بين أصابعي. أرى بوضوحٍ الشعيرات الدموية تجري بها ، تغذيها، .....تنعشها....و تمنحها الحياة والمرونة.....

غضاريف جديدة تخرج من بين رجليّ ..... أصوات الحوريات يرنّ في أذني... أكادُ أميّزُ ما يُقال، أكاد أفهمه..... أستطيع الرؤية تحت الماء بوضوحٍ عن أوّل مرّة نزلتُ فيها شاطئ الجزيرة...

شـيءٌ مـا جـذبني لحُـبّ تغيُّراتـي الجديـدة.... وحُـبّ الجزيـرة.... وبـداخلي شـيءٌ آخـرَ أعظـم يبكـي لخيانـة حوريةٍ ملعونة.... يرتِّلُ ألحانًا باكيةً لسوءِ حظّي..

لا أنسى تفاصيل عيني الحُوريّة القبيحةِ الطيّبة ولا تلك الشـرارة التـي تفجّـرت بيننـا مـن دون أدنـى تفسـير.... زرقاء كالبحر هادئةٌ كالسماء الصّافية.... ناعمةٌ كحجرٍ فيروزيٍّ مهجّنٍ بالكهرمان...

وقعت في حب تلك العين وانتهى الأمر...

استيقظت من شرودي وأنـا أقضُم سمكةً نيئـةً اصطدتها..... تبًّا ما الّذي أفعلُـه؟؟! ....مـاذا دهـانِ؟!! هربـت بسـرعةٍ إلـى الشـاطئ ... ولكن!! كلّمـا تقدمت نحـو البـر خطـوةً، شـعرتُ بـأنّ رجلـيّ لـم تعـودا

تـدعمانني!! .... أشـعر بـأني مائـلٌ ميـول ذلـك الجبـل البركاني.. يا إلهي ساعدني على مصيبتي!!

طعـم السـمكة الـلاذع يتحـول إلـى لـذّةٍ عارمـةٍ انقـضّ بسرعةٍ على بقايا السّمكة الطّافية فألتهمها بشراهةٍ..... تذكّرتُ حينها وجبات الأرزّ بالكاري والسمك المشويّ وأطبـاق السلطة مـن يـد حبيبتـي *جانيت*.... تنهّدت ومضيت أبحث عن كهفٍ قريبٍ من البحر كالّذي تقطنه تلك الحوريـات..... ربّمـا هـي الغريـزة اقتـادتني مـثلهن لأبحـث عـن هكـذا مكـان..... تـذروه الأمـواج فتنكسـر بداخلـه لتتحـول إلـى رذاذٍ مـالحٍ يغمُـرُ طقـس الكهـف بالرّطوبـة..... نعـم!! هـذا هـو مكـاني المفضـل، ففـي الآونة الأخيرة لاحظت جفاف جلدي إذا ما ابتعدت عن الماء...

أسـناني باتـت مسـنّنةً كالخُفّـاش، لسـاني صـار مـدبّبًا... شرائح تتوضّع على جنبات رقبتي .... أُفضّل أن أتنفس

منها عوضًا عن أنفي، فهواؤها منعش يدخل بكمياتٍ كبيرة...

****

وبعد أن اكتمل نموّ ذيلي..... وأصبحتُ حوريّة بكل ماتعنيه الكلمة من معنًى..... عرفتُ مخابئ الجزيرة وأماكن الصّيد الأفضل بها.... تجنّبت أماكن الحوريات البشعة واستقرّيتُ عكس اتجاهها....

وفي يومٍ من الأيام الأزليّة الّتي لم تبدو لي أنها ستنتهي.... لمحتُ فتاةً جميلةً فاتنةً فارعةُ الطّول... بيضاء البشرة..... شعرها طويلٌ فاحمُ السّواد..... كانت تجمع أخشاب نخيل جوز الهند بهمّةٍ منقطعة النظير..... وتخزنها في مكانٍ آمن.... اقتربتُ من الشّاطئ متسللاً كي لاتفزع منّي.... فلمحت عينيها الزرقاوين.... يا إلهي!!! إنها العيون ذاتها، أقصد العين

التـي وقعت فـي حبهـا ونقمهـا.... ولكننـي لمحت كذلك بقايـا حراشـفٍ تلتصـق بأردافهـا.. راودنـي الشّـكّ لبرهـة.... أ يُعقـل أن تكـون هـي نفسُـها الحوريـة ذات العين الواحدة!!!

حتمًا هـي نفسُـها.....تلك اللعينـة...لعنتنـي مسـخًا بحريًّـا لزجًا وانتزعت آدميّتي منّي... رُغمًا عني؟؟

لابُدّ لي من الانتقام... ولكنني في نفس الوقت أكاد أجزم بأنني أحبها وأهواها بعينيها الكهرمانيّتيْن هذه....

تسلّلت ليلاً إلى مخدعها.... فوجدتها تغُطُّ في نومٍ عميق... كانت تبني طوفًا بدائيًّا من الأخشاب.... هنـاك لمحـت الحـروف S.O.S وهـي اختصـارٌ يعنـي أنقذو أرواحنـا.... لكـي تراها مروحيـة مـارّة من فوق الجزيرة النائية

قلت في نفسي: كان حريًّا بها أن تقول أنقذوا روحي فقط، كم هي مخادعة!!

ولكن حتمًا لاتستطيع أن تطلق الدخان في الهواء، وإلاّ كُشف أمرها إن شوهدت نارُه...

تسلّلت زاحفًا نحوها أجرّ زعانفي بتؤدة، وجدتها نائمةً وعلى وجهها ابتسامةٌ خفية ...تنوء بالحرّية القادمة... وضعت فوق شفتيها قبلة هادئة مزجت معاني الحب والخيانة والانتقام.....

رجعت إلى مخبئي بنشوة انتصارٍ آتٍ لا محالة...

في صباح اليوم التالي، وجدت بقايا حراشفي البرّاقة تُغطّي أرض الكهف..... يا إلهي إنها اللعنة تُنزع عنّي!!

لم أستطعِ الانتظار لتكتمل آدميتي...

ولَجتُ إلى مكان الخائنة، فوجدتها تبكي وتئِنُّ بحُرقةٍ صامتة وكأنها تندب توأمها الملعون... تركتها حتى يلتهمها الإعياء وينهكها السّقم... سحبت نفسي مطمئنًّا بعد أن وجدت طوف نجاتي على وشك الانتهاء...

رجعت لكهفي بفرحةٍ عارمةٍ وانتظرت حتى يكتمل القمر فتُنزع اللّعنة عنّي وينتهي الكابوس!!

سرحت بمخيلتي قليلًا مع طيف جانيت محبوبتي... تاركًا العنان لطيفي يلهو معها كيف يشاء، يجري بقدميه في باحة المنزل المعشبة بحريّة ..

لم انتبه للصّباح... إلّا بصوت النوارس الكريه المؤذي..

ولكن هذه المرة أحببته على غير عادتي.... بدا لي جذّابًا.... كموسيقًى فيلارومنية من قلب "أوبرا سدني".... تتجلّى بروحي المتحررة من لعنة أبدية...

ذهبت ثانيةً إلى مخدع الخائنة لأسترد عرشي المسلوب... وأسترد رجولتي المنتهكة، لكنني لم أجد سوى آثارها وقد زحفت نحو البحر تجرّ أذيال الهزيمة.. يبدو أنها لم تنسَ حياتها كحوريةٍ خائنةٍ قبيحةٍ بعينٍ واحدة...

استكملت صناعة الطوف.... وجهّزتُه .... وأعددت العدّة وأخذت معي بعض كرات جوز الهند ودرنات كنت قد عرفت طعمها مسبقاً، وبعض الأسماك والثمار....

سمعتُ لحظتها أصوات النوارس وهي تزعق من بعيد .... كانت نفس النغمة ساعة وقوعي تحت رحمة تلك اللعنة..... تسلّقت شجرةً ونظرت لأجد نفس عمود الدخان يتصاعد من نفس الإبريق المنحوس..... قصر عرائس البحر القبيحة.. يحتفي بوصول آدميين جدُد.. إنها تراجيديا المواقف....ربّــاه!! كنت حينها ملعونًا، وها أنا اليوم استردّ شرفي وتاج حريتي والبشرية جمعاء... تنفست الصُّعَداء ومضيتُ بطوفي الصغير متلفحًا بالليل ساترًا لي... فالحوريات لاتحب الليل.... هي فقط تعشق اللحم النيئ تحت أشعة الشمس..

سمعت صراخًا حادًّا قادمًا من أعلى الصخور، إنها الحورية ذات العين الزرقاء الواحدة...وقد منعها مني خوفُها الفطريّ من السّباحة في حضرة القرش

الأبـيض.. تبسّـمت قـائلًا فـي نفسـي: نعـم قـد أحسـنت اختيار وقت الهروب!!

كانت تبكي وتصرخ وتزمجر وتنوح بأصواتٍ مبتذلةٍ، قد كانت تبكي بكاء الثكالى، وكأنها تستنجد ببقيـة نسوة القطيع... ليبدأ القَصاص....

اكتفيت حينها بالنظر في عينيها تاركًا للمسافة التي بدت تكبـر بيننـا حـقّ التعبيرعمّـا يـدور فـي خلـدي فـي تلـك اللحظة المتأجّجة...

انتهت

2013-6-6

الساعة 6:23 مساءً

جلّنار

إسحاق....

يعشقني

الأشباح... العفاريت ... الوُحوش الخرافيّة..... الجنّ...الشّياطين.. كلماتٌ لم أعتد استخدامها ولا حتّى تصديقَها.... لأني وفي الغالب أقومُ بِدحضِ هذه القصصِ فورَ انطلاقها من أيّ شخصٍ بجانبي... حتى صديقاتي عرفْنَ خوفي من هذه الهواجس على الرُّغمِ من علمِهنّ التّام بعدمِ إيماني بهذه القصص....

فرُغم التزامي الديني الوطيد... وعلمي بأن الجنَّ موجودٌ إلا أنّني استنكرتُ ذلك مع نفسي .. كوّنتُ فِكرةً تنصُّ على عدمِ وجوده في عالمي وانتهى الأمر...

اسمي جلّنار... عمري أربعٌ وعشرون سنة....

طالبةٌ في علم النفس....

ذاتَ يومٍ في أُمسيةٍ دافئةٍ في بيت الجدة... في صيف 2008.

جاءتني رسالةٌ من رقمٍ غريبٍ لهاتفي... مكتوبٌ فيها، ((صاحبةُ القِصّةِ لاتُريدُ إظهار ماهو موجودٌ في هذه الرسالة لأسبابٍ شخصيّةٍ، احتفظَتْ بسبب إعجابها سرًّا))، لأوّل مرّةٍ أُقدمُ على هكذا فعلٍ، إلا أنني احتفظتُ بالرقم....أحسست بأن صاحب الرقم إنسانٌ في قمّة الدفء والطيبة.... اجتاحني الفضول لأتعرّف عليه.... وبالفعل بعثتُ لهُ برسالةٍ بأنه بعث برسالته لرقمٍ خاطئ، بأسلوب راقٍ مُحبّب.... يجعل مستقبِلَ الرّسالة يشعر بالفضول...

اتّصل بي مرّاتٍ عدّة، وأنا أخجلُ أن أتكلمَ مع رجُلٍ لا أعرفُه... بعد فترةٍ تحدثت معه دقيقة.... ثُمّ صارت اثنتين....وثلاثة....

أحبَّ كل واحدٍ منا الآخر دونما أن يراه.... فاتحني بالزواج في غضون أسبوع ... ولم يخبّئ شيئًا عليّ...

قال لي بأنَّهُ متزوجٌ وله صغيران... وأنه يريد تعدُّد الزوجات...

فإن وافقتُ سيكونُ مسرورًا وسعيدًا طوال العمر..

أنا وافقت بدوري... ولكنني اشترطتُ أن أسأل زوجته بنفسي عن موافقتها.... وكان هذا شرطي الوحيد!!

وفعلًا سافرتُ مع خالي وأمي لطرابلسَ، حيث تعيش. وسألتُها وأخذتُ موافقتها حسب الدِّينِ والخُلُق.... أمي وأهلي لم يكونوا موافقين ..... كانوا يريدون لي زواجًا غير هذا ... إلا أنني اشتريتُ طبعهُ وفضّلتهُ على كل شيء...

تزوّجتُ بإكليلِ وياسمينِ بلدي.... بين زغاريد صديقاتي.... في وسَط أجواء عائليةٍ حميمة...

ذهبنا بعدها إلى بلدته في غرب البلاد... (طرابلس).. حيث أهله وزوجته وأولادُه...

كـان قـد وعـدني سـلفًا بأنـه سـوف يؤسّـسُ بيتًـا لـي ولضُرّتي... لكلٍّ منًّا طابق...

ولكنّ البيتَ لم يجهز بعد... تنقصُه بعض التشطيبات الصـغيرة.. فعرض عليَّ زوجي "مُعزّ" أن نبيت في الفندق ريثما يجهُزُ عِشُّنـا.... ولكنني رفضتُ التّبذير في الفنادق بغيرِ هدف..... أخيرًا عرض علينا ابن عمه "بشير" مكانًا اعتاد استقبال الضيوف فيه، ولكنّه لم يفتحه منذ حوالي أربعة سنوات...

رضيت مضطرّةً لذلك.... رأى زوجي في شخصي مَن يخـاف علـى مالـه فعظُمـتُ فـي عينيـه، وكبـرت فـي نفسي...

وقفت السيارة بعد حين .. أمام بيت شبه مهجور.... فناؤه بدون باب..... أما مدخل البيت له بابٌ حديديٌّ

خـاصٌ بـه... زجـاجُ البيـت محطّـم... الرّطوبـةُ نهشـت جدرانه بنهمٍ... لم تبقِ منه شيئاً..

فـور دخولنـا للبيـت الـذي كـان مظلمًـا مـن الخـارج والداخل... أحسستُ بلفحة هواءٍ ساخنةٍ كأننا ذباب يقف أمـام فـم وحـشٍ يتثـاءب.... هـواءٌ يفتقـدُ للأكسـجين .... مكـدّسٌ منـذ عقـودٍ دون حركـة ريـاحٍ تجـدده.... فكلـه رائحـة ترابٍ عفنٍ مختلطٍ بالمـاءِ القذر... رائحـةُ بـراز وبول الجرذان تعجُّ في الأجواء... قشعريرةٌ سرَتْ في جسدي النحيل كادت تقتلع جلدي من مكانـه.... كرِهتُ فكرة مُكوثي هنـا.... ولكنّـي صـبَّرتُ نفسـي بأنهـا أيـام وستمضي..... شرعتُ أنظِّف في البيت كأي امرأة ..... بنشـاطٍ وحيويّـة .. نظـرتُ للسّـاعةِ فوجدتها تُشيرُ إلـى التاسعةِ مساءً.... نظرتُ إلى مُعزّ حبيبِ قلبي وسبب طمأنينتي.... فوجدت في عينيه رجاءً أن أُطلق سراحه ليرى أبناءه.... وفي ثانيـةٍ قفزتُ أمامـه ... وطلبت منـه

أن يذهب ليرى أطفاله، لابد أنّهُ مشتاقٌ لهم، بالإضافة إلى أني لا أريدُ أن يُقالَ عنّي أنني منعته من رؤيتهِم فورَ زواجِنا..... وما يُصاحب هذه التُّرّهاتِ النِّسائيّة المعتادة...

ذهبَ معزّ... وبقيت في البيت لوحدي... في مدينةٍ لاأعرفُها .... في مكانٍ لا أعرفه.... في وسط اللاوسط.... معلّقةً في فراغ الغربة ..... وحيدةً وجديدةً على المكان برُمّته...

أكملتُ التّنظيف.... دخلت الحمّام واستحممتُ وتعطّرتُ ب"شانييل" وتكحلّتُ بـ "قوش"، ولبِستُ ألطفَ الثّياب.... فأنا عروسٌ بطبيعة الحال..... ويجِبُ أن أبدو بأبهى فِتنتي...

****

انتظرتُ وانتظرت .... ولكنّ معزًّا لم يأتِ .... السّاعةُ تشير إلى 12:45 منتصف اللّيل.... انزعجت لأنه تركني وحيدة... ارتعبتُ وبكيتُ من لاشيء....

وفجأةً صوتٌ جديدٌ يشقُّ حاجزَ الصّمتِ المُطبق حولي... يُجفلُ جيادًا تفكّرُ في تأنيب معزٍّ فور وصوله... صوتٌ يؤنسُ وحشتي ريثما يعود زوجي المنتظَر...

الضجيج!!!، إنّهُ آتٍ من المطبخ .... أصوات ملاعقَ تتشابك بعنف... على أرضيةِ الدَّرَجِ الخشبية.... بوتيرةٍ تتزايدُ تصاعدياً..... يا إلهي ما هذا !!!!؟؟

الصمت هَرَبَ وحلّ محله صخب الملاعق الحديدية الرّنانة... أقفُ في زاوية غرفة المعيشة مشدوهةً خائفةً، لا أدري كيف أتصرف....

الدماء لاذت بالفرار من وجهي وأطرافي... فزعت من الرفقة الجديدة... لم تتدرب على أصوات الأشباح..

اختفت في تجاويف جسمي... تاركةً وجهي يختنق خوفاً...

الفكرة الوحيدة التي طرأت على رأسي هي قراءة القرآن بصوتٍ عالٍ ..... قرأتُ المعوّذاتِ عشرات المرات.. وسورة الإخلاص.... وردّدتُ: ((. وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ)).

فجأةً توقّف الصوت المخيف... ولكني بدأت أسمع صوت دلو الماء الفارغ في فناء البيت كأن أحدهم يركلهُ بقدميه..... يرميه بغضب.... ربما تكون الرّيح ... ولكنّهُ الصّيف ولا رياحَ في هذا الوقت من السّنة...

أو ربما يكون من فعل ضرّتي تريد إخافتي والتخلص مني!!! أو إنهُ زوجي نفسه، يمازحني مزاحًا ثقيلًا...

- يا إلهي ماذا أفعل؟؟

لففتُ الشال على وجهي كله، وأكملتُ قراءة القرآن كي لا أرى أيَّ شيءٍ يخرج أمام ناظريّ...

****

جـــاء معزٌّ بعد رحلة عذابي وحيدةً في بيتٍ مخيف.... من هول صدمتي لم أستطعْ فتح فاهي بحرف.... ظنّ أنني جائعة... قدّم لي طعامًا، كان قد أحضره من الخارج... بدأت آكُل بصمت ووجهي مصفرٌّ من شدّة الخوف.. نسيتُ أن أسأله لماذا تأخر؟ ولماذا تركني هكذا؟.... قاطع أفكاري صوتُه الرّحيم...

آسفٌ حبيبتي فلقد تشاجرت مع زوجتي .... وهذا هو سبب غيابي فاعذريني ..... لن أتركك وحيدةً بعد اليوم.... أعدُكِ..

استمريت في الحملقة في تقاسيم وجهه بغباء .... سرحت وكأني أنظر من خلال جسده لشيءٍ ما خلفه هناك بعيد جدًّا...

أصوات الملاعق لازال يُدوّي في أذني....

صرت أبتلعُ الطّعام دونما مضغ.... ومعزٌّ يسألني: حبيبتي ما بكِ ؟؟

لم انطق بشيءٍ مما رأيتُ و سمعت... كنت ساعتها أريد فقط أن أنفجر بكاءً ونُواحاً....

كنت أريد أن أُوجّه له كيلاً من اللّكمات والصفعات على صدره ووجهه.... ولكني أشدتُ بطعم الأكل الرائع.... سوف لنْ يصدقّني إن قصصتُ عليه ما

حصل معي... سوف يظن بأني مدلّلةً وأريده بجانبي ... وبأنني أشعر بالغيرة من ضرّتي وأولادها... بلعت الأكل والشراب والخوف في آنٍ واحد... جعلت من جسمي مخبأً لجنوني.... صار الخوف معجونًا داخلي كجنينٍ مكوّنٍ في أوّل يومٍ له... فأنا من يصدقني وليس أحدٌ غيري!! ... ولكن أنا أيضًا من سيحمله، وأنا فقط من سـ يُجهِضُه.....

ذهبنا للنوم...

في الليل أحسستُ بقشعريرة... أنها برودة التكييف لاشك!!... حتى معزّ أيضا أحس بي فضمّني إليه ونمتُ إلى الصّباح....أحلم بكوابيسَ مخيفة.. أرتعش في نومي تارةً وأتنفض تارةً أخرى...

****

مضت ثلاثةُ أيامٍ على دخولنا بيت إبليس هذا... وفِي رابع ليلةٍ كُنت فيها مع زوجي نتجاذب أطراف الحديث بهدوء... عن اهتماماته وماذا يحب وماذا يكره... كنت مثل قطّته المدلّله أجلس في حجره، وهو يمرّرُ أصابعه بين خصلات شعري... كُنتُ أُحس بأن سعادتي قد وصلت لذُروتها، وفعلًا كما يقال: "الورود في أوجِ تفتحها، هي أقرب للذبول"... فجأةً سمعت ورأيتُ خيالَ رجلٍ كهلٍ ..بشعرٍ أبيضَ....من الشُّبّاك المقابلِ لي... ينْدَهُ ويقُولُ (جلّنااار).... صرخْتُ بِقوّةٍ حتى زوجي ارتعبَ منِّي..... قلت له: أ لمْ تسمع الذي ينادي عليّ؟ قال: كنتُ أتحدّثُ معك ولكنّي أكادُ أجزِمُ بأنّي سمعتُهُ أيضاً...

خرج معز يدُورُ في الفناء ومعه عصىً.... قد يكونُ لصًّا أو مخبولًا... عبثًا لم يجدْ أحدًا!!

******

مضى الشهر الأول ونحن في بيت بشير... بيتُنا اكتمل بناؤه، ولم يعد يلزم سوى الأثاث ... ضُرتي الأولى لمْ ترِدْ دخول البيت إلا والأثاث جاهز.. أما أنا فحاولت بشتّى الجهود والطرق إقناع معزّ بالذهاب حتى لو اضطررنا للنوم على الأرض.... فأنا تعيسةٌ بكل ما تحمله الكلمة من معنًى...

بدأت أرى في منامي كوابيسَ كثيرةً... حتى إني انهرتُ من هولِ مارأيت.... كنتُ أحياناً أدخل الغرفة حيث أضعُ حقائبي وملابسي وعدّة الزينة.... فأجدُها مقلوبةً وكأنّ أحدًا ما قد قامَ بتفتيشها عُنوةً..... أرغفةُ الخُبزِ مُلقاةٌ على أرضيّةِ المطبخ..... صُنبورُ المياه مفتوحٌ على الرُّغم من أنني متأكدةٌ من إغلاقه قبل قليل.... الملحُ يختفي باستمرارٍ من مكانه.... وكذلك أعوادُ الثقاب.

صارحتُ زوجي بكل شيء.... فانفتح فمُه على آخرِه من هول ماسمع..

وأخيراً استشارَ بعضَ المشائخ... فقالوا له أن البيت لابد وأن يكونَ مسكونًا بجانٍّ غاضبٍ..... عليك بالخروج من البيت فقد يسبب لك الأذيّة وخصوصًا أن بيتك قد اكتمل.... ولكنّ معزًّا أبَى إلّا أن يستمرَّ بالبقاءِ هنا... قال: لن يخرجني جانٌّ وأنا على قيد الحياة....

رجلٌ مجنونٌ ... يتحدّى مخلوقًا غير مرئيٍّ يفُوقهُ قوةً... هكذا يفكّر في كلّ شيءٍ يُقدم عليه...

أحضر معه الشيوخ وقاموا برش ماء الرقية وقراءة القرآن ورش الملح الحجري والمسك في زوايا البيت...

ولكن شيئًا لم يتغير في بيت إبليس هذا.. فهو صامدٌ لم يتأثر.... بل إنّ الوضعَ تأزم أكثر وأكثر!!! بل يبدو أننا أثرنا غضبَه!!!

حتى عندما نعود من زيارتنا لبيت أهله، فإننا نرى البيت من بعيد بين البيوت المنيرة، فيبدو لنا مظلمًا معتمًا.. مليئًا بالأشجار الكبيرة العملاقة الميتة، والنباتات المتسلقة الشائكة... حتى العصافير هربت منه.... صورةُ بيتِ إبليس مع خلفية الغروب الكئيبة تبدو متناسقةً وفي قمة البؤس.... ويكأنني أُقتادُ رُغمًا عن أنفي إلى زنزانتي... معهُ طبعاً!!!

يبدو منظر الغروب رومانسيًّا جداً ، كأنَّهُ لوحةٌ زيتيَّةٌ إلّا بيت بشير... يبدو يتيمًا قبيحًا منبوذًا نشازًا... كلوحةٍ سرياليةٍ بدونِ ألوان... فقط الأسْودُ والكثير من الأسود... وظلالٌ رماديّةٌ شاحبة...

أُحسُّ باختناقٍ في تنفسي.... رائحةُ بول الجرذان تنسل إلى داخلي بخفه... شيئٌ ثقيلٌ يجثُمُ على صدري، طنين الملاعق يوشوش في رأسي... أنفثُ همًّا وأتنفسُ هواءً

فاسـدًا ... هـواءٌ سـاخنٌ نَـتِنٌ... ملـيءٌ بِبُـرازِ القطـطِ الجافّ...

نظر إليّ زوجي برحمةٍ وكأنّـهُ يُدركُ مايجري لـي .... نظراتي له كانت خاويةً لا لمعة لها، شاخصةٌ كنظرات الموتى... أيقن وقتها أنني أحتضر...

جلست مع زوجي طالبةً إليه الذّهاب للبيت الجديد... قال لي: لم نشترِ الأثاث بعد!!.... قرّرتُ أنا الذهاب مهما كانت النتائج فليس لي مكانٌ في هذا البيت.... زوجي وافق، ولكنه لايريدني أن أتعذب في بيتنا بدون أثاث... لايدري بأني أبيت هنا، وقلبي في عراء الخوف.. تلتهمنا أنياب كائنٍ لا مرئيٍّ.... يدري بوجودِه دون أنْ يراه... كِلانَا أحسسْنا به...

أنا لم أنطق وهو كذلك...كان متمسكًا بإيمانه ولايريد استجلاب كلماتٍ يعرف مُسبقًا أنـي أخافها.. ظلّ

مُحافِظًا على صورة الزّوجِ الذي لايخاف. على الرُّغم من أنّي استشعرتُ فَزَعَهُ من المكان، إلا أنه يريد انهازمًا تكتيكيًا رجوليًّا يحميه من نظرة زوجته...

أحسست به .... فأفسحتُ له الطريق ليباشرَ الانسحاب بكرامة..

ضربت له موسيقى "الجاز" الحزينة وانحنيت في خضوع....

ضُربتي ظَنَّت أنّ هَذَا تَحَدٍّ مِنّي لَهَا... وَإِعْلانًا للحرب عليها...

المسكينةُ لاتدري ما أقاسيهِ وما أعانيه... وأنّي لم أنَمْ نومَةً هنيئةً منذ قدومي ...

وَجَاءَ شهرُ رمضان، وحُبِسَت الشياطين....انتعشت حينها علاقتُنا.... وأحببنا بعضنا أكثر.... صِرْنا لانُطيق الابتعاد عن بعضنا البعض..... كنا حتى عندما نتناول

إفطارنا عند أهله كنا نتبادل الرسائل الهاتفية طوال الوقت... نحنُ الآن في قُوهةِ بُركان الحب..... وغيمة البؤسِ ولّت بلا رجعة....

ننفُثُ غازات العشق والتمني.... نُطلق حِمَمَنا في كل اتجاه.... نعزف سمفونيتنا بتناغمٍ دونما ضبط بيننا.. حتى صهَرْنَا مَاحَوْلَنَا وطَوّعنا مُحيطنَا ليأخذ أشكالنا... نحتْنَا علاقتَنا بقوَّةٍ في صخور وحجارة البيت... لم نترك ثغرةً للمشاكل إلاّ وسددْناها بمعجون الوفاء والصّدقِ والإخلاص... لنْ تُفرّقَنَا أيَّةُ قوةٍ سِوى الموت...

حسنًا فعلنا حينا تركنا بيت بشير...

****

ذهبَ رمضان وانتهت عطلة العيد...

عاد زوجي كمحاسبٍ بعدها في أحد البنوك....

صِـرْتُ أقضـي السـاعاتِ الطـوال لوحـدي.... الطّـابِق الأرضـيّ... طـابقُ ضُـرّتي الّتـي لـم تسـكنْه بعـد..... والطابق الأوّل لي... والطـابق الثـاني - الـذي لازال قيد الإنشاء - يُفترض به أن يكون للضيوف...

رغـمَ هوسـي بالنظافـة بشـكل جنـوني.... وتنظيفـاتي الخارقـة وكـأنني أُعـالج تلوثًـا جرثوميًّـا منتشـرًا.... أستخدمُ أسلحتي الخاصة من منظّفاتٍ ورشّاشاتٍ مائيةٍ كيميائيّـة.... وخلطـاتي التـي ابتـدعتها... أُطلـق البخـور والنّد باستمرار...

إلا أنني لازلتُ أشتمُّ رائحةً غريبةً في البيت... لا أدري كيـف أصـفها ولكنّهـا رائحـةٌ تشـبه الشـعر المحـروق ولكنهـا ليسـت كـذلك... تبـدو كرائحـة نـايلون يحتـرقُ بـبطء، إلا أنّـه لـيس بنـايلون.. يبـدو تمامًـا كجلـد إنسـان محترق... نعم هكذا كانت.. تنتـابُني بعدها نوبـاتٌ من الصُداعِ والغثيان والقيء... أنفاسٌ ساخنةٌ تلهث خلف

رقبتي... ألتفتُ ولكنّي لا أجدُ أحدًا.. أصوات سيرِ أقدامٍ حافيةٍ على البلاط، تدُبُّ خلفي في درجةٍ مقاربةٍ للسكون....

أسمع صراخ طفلٍ رضيعٍ يبكي وكأنّهُ جائع... أو يتألم..

أضع أذني على جدار الجيران... علّهُ يكون صوت ابنهم... كلّا الصوت ينبُعُ من بيتي...

أتتبّع مصدر الصوت.... يبدو قادمًا من طابق الضيوف...

أصعدُ الدَّرَج متسللةً ..

الطابق معتمٌ تمامًا.... الرّائحةُ تنبعث بتركيز... كادت تفقدني وعيي.... الطّفل يبكي بتقطُّع.... ومن ثمّ يئنّ بغنجٍ وكأنّه وجد ثديَ أمِّه بعد جوع...

أسمع أصوات المفاتيح... إنّه زوجي يدخل البيت...

أنـزِلُ بسرعةٍ تاركـةً خلفـي الجلد المحـروق والرضـيع بدون أيّ شيءٍ يعكّر صفوَ إزعاجهم لي ..... تاركةً لهم زمـام الموقـف، فإمّـا أن يكونـوا هـلاوسَ أو أن يشـقُّوا للمنطق مكانًا ويُظهرُوا أنفُسهم لي...

قلـتُ لـــ معزّ أ لا تشـتمُّ رائحـة شـيءٍ محـروق؟؟ أ لـم تسمعِ البُكـاء؟؟!!... ولكنّـه أومـأ لـي بـالنفي!!... بدا لـي كأنه قد ملّ من تخيلاتي!!

دخل الشّقّة، يبدو أنّه جائعٌ ومنهك... ولا وقت لزوجتـه المجنونـة وأحـلام يقضـتها، التـي لاتكـلّ ولاتمـلّ مـن ترتيلها ليل نهار..

شعرتُ بغصّةٍ وألم لأن زوجي لم يصدقني..

ولكنني التمست له الأعذار، فحبّي له لا يوصف...

****

ذات يـومٍ كنّـا نتجـاذبُ أطـراف الحـديث فـي غرفة نومنا. كنت وقتها أضـع الكمبيوتر المحمول فـي حجري أُقلِّب صور زواجنا... وأنظُرُ لصـور صـديقاتي وأخواتي... في تلك اللحظة رأى زوجي آثار أصابعٍ قد انطبعت في جلدي بين فخذيّ وحول رقبتي وتحت إبطي.. فسألني بإلحاح ممن هذه؟ ..أجيبي!!

ولكنني لم أعرف!!!

سألني: أ تؤلمك؟

اجبته: كلا!! فأنا مثلك، أراها لأول مرّة!!

زاد خوفه وخوفي.... حينها وقعت عين زوجي على رسمةٍ تشبهني بقلم رسام كانت قد خُزنت في ملفاتي القديمة على جهازي المحمول....

سألني: من رسمك؟!! ... - كنت مسبقاً قد حكيت له أنه كان لي صديقٌ كنت أعامله كأخ لي قبل أن أعرفك.

اسمه (**إسحاق**)... وبعد سنةٍ من تعارفنا بدا لي أن إسحاقًا يُكِنُّ لي مشاعرَ أخرى ولكنه لم يبُح بها... ذات مرّةٍ تخيّلني فرسمني دون أن يراني حتّى.... وبعث لي هذه الصورة التي أمامك قائلًا: هكذا تخيّلتُك.

كلُّ صديقاتي قُلنَ بأنّها تُشبهني تمامًا... وبعد أن صارحني... رفضتُ بشدّة، وأردتُ أن نكون كسابق عهدنا، أصدقاء فقط.... حينها اختفى إسحاق بدون سابق إنذار... ولم أعلم عنه شيئًا حتى اللحظة....

حينها طلب منّي معزّ أن أحذف الصّورةَ من الكمبيوتر لأنّه يغارُ عليّ من أيّ مخلوق...

لم أذكر لكم ... أنني حينما أكون في لحظات حميمةٍ مع زوجي... يتراءى لي شخصٌ غير معزّ... كان يظهر لي كشخصٍ شديدِ الوسامة ذي عضلات مستقيمة في بطنه... شعرُه طويلٌ يمتدُّ لخارج الغرفة.... عيناه

بزرقة السماء تتوهّج على جسدي..... بشرته ورديّةٌ صلبةٌ متماسكة. ليس كشكل زوجي حبيبي.... الأصلعِ الحنطي... ذي أنفٍ يحتلّ أغلب وجهه.... بوجهٍ باسمٍ يضفي الطّمأنينة على حياتي.... كرشه يبرز قليلاً ولكنه جميل... لي معه مخزون حنانٍ لاينضب.. أحببته لطبعه الرّاقي قبل شكله... أحببته لأنّه يُحبني بجنون..

****

ذات يومٍ كُنّا ذاهبيْن لبيت أهله، الرائحة الكريهةُ لازالت تُحلّقُ فوق أنفي، وزوجي لم يشتمَّ شيئًا بعد!!

حتّى البخور، كان يزيد الأمر سوءًا...

صُراخ الطفل أسمعه... ولكن بشكل أضعف هذه الأيام...

غثيانٌ مقيتٌ استشعره في كلّ خطوةٍ أخطوها..

أغلقنا باب شقتنا، وبينما كنت أهمّ بنزول الدرج.... تعثّرتُ وسقطت، ربّما بسبَبِ غثياني... وبينما كنت أسقُطُ بظهري نحو الدرج، ووجهي السّاقط يواجه معز- وبالتحديد في تلك اللحظة- رأيتُ خيال شخصٍ عملاقٍ يقفُ خلف زوجي... كأنّهُ يراقب المشهد ، رأسُه يكاد يلامسُ السّقف، عريضٌ أعرضُ من باب الشقة.. يرتدي قماشةً سوداءَ بالية... لا تظهر تفاصيل وجهه.

حصل كل ذلك في ثوانٍ معدودة.... ولكني استرجعت كل هذه التفاصيل فور استيقاظي في المشفى... حلّلْتُ وفسّرت، فلمْ أجد للمنطق مكانًا في تحليلاتي...

خرجتُ من المشفى والحمد لله.... وكان نصيبي إلتواءٌ في الكاحل، وكسرٌ في المعصم...

حمدتُ ربّي أني لم أمُت!!

لوهلةٍ ظننت أنّ من رأيت، عزرائيل وقد حضر ليقبضني.... ولكن!! الحمد لله....

ولكن من يكون!؟؟

توالت الأحداث معي..... مرِضتُ وكنتُ طريحة الفراش.... أكثر من مرّة...

زوجي لم ينسَ حكايةَ الجانّ في بيت بشير... فأنا ما عدت أنا!!.. صرتُ كثيرة النوم قليلة التبسّم.... عصبيّةَ المزاج... رأسي يكادُ ينفجر بسبب الصداع المزمن... أثور من أتفه الأسباب.... احتضنني بعطفه وشملني بحنانه اللامتناهي.... برغم كل ماسبق مني وظهر...

هكذا هو المحب بحقّ... يغفر زلات حبيبه... يتركه في نوبات جنونه ليهدأ ويعود بدفءٍ أكثر

ليضُمه... حُبٌّ دون مصالح... حبٌّ نقيٌّ غير مدنّس بلونِ غير الأبيض....

****

قرّر أن يُحضرَ شيوخ ليسبروا غور المجهول في بيته...

اتصل بصديق له.... فأعطاهُ رقم شيخٍ معروف، كان صديقًا لوالد معز فيما سبق...

غادر معز ليرجعَ ومعهُ ثلاثةٌ من الشّيوخ..

كانت أسماؤهم الشيخ: محمد صالح والشيخ: محمد حمزة والشيخ: عيسى المحمودي... ثلاثتُهم جاؤوا ليلتقطوا زوجته من بين أنياب إبليس...

دخلوا ثلاثتهم.... الشيخ عيسى المحمودي فور دخوله اشتمّ الرائحة الكريهة..

ثلاثتهم شعروا بوجود ذاك الشّيء اللّامرئي...

أدخلهم معزُّ غرفةَ الضيوف..

ألبسني الحجاب الأسود، ودخلت ممسكةً في يده... أسير بنصف خطوة خلفه وإلى جانبه...

قلت: السلامُ عليكم... فردُّوا السلام...

جلستُ بجانب زوجي.... وجاءَ الشيخ محمد حمزة، تشاطر معي بعض العبارات سألني بضعة أسئلة. وهل أنتِ متوضّئة!! بدأتُ أنفثُ الهواء من أنفي بقوة.... وكأنّي أتعرّضُ لهجومٍ بالكلام الجارح من أحدهم.... شعرت بالإهانةِ والتجريح....

قال بصوتٍ عالٍ مباغت: أناشدكم بالعهد الذي أخذه عليكم سليمان أن ترحلوا وتخرجوا من بيتنا. أناشدكم الله أن تخرجوا ولا تؤذوا أحدًا.. ووضع بيني وبينه مسندة ظهر.... وبدأ يقرأ القرآن ....قرأ ...بسم الله

الــرحمن الــرحيم ... ((يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا * وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا* وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا * وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا *)).

في البداية كان صوتُهُ واضحًا مفهومًا حين قال: أُعيذك بعزّة الله وقدرته من شر ما تجد وتحاذر وبداية قراءته القرآن.

قلتُ بعدها: حبيبي لم أعد أسمعُ شيئًا!! وأشرت له بيديّ أنّي لا أجدُ مُتنفّسًا... وفجأةً.. فقدت الوعي!!

الأحداثُ التالية ... يرويها زوجي بلسانه لأني لا أدركُ شيئًا حينها....

قال: بدأتِ تتكلمين بصوتٍ لم أسمعهُ منكِ قبلاً ، وكأنه يصدُر من جوفِ أحشائك!!

سـأل الشـيخ محمد حمـزة: مـن أنـت؟؟... قـال: أنـا جِـنٌّ . الشيخ قـال: هل أنـت مسلم!؟ أجـاب الجن: نعم، أنـا مسلم. قـال لـه الشيخ: أليس حرامٌ أن تسكن جسد هذه المخلوقة؟، أعتقها أعتقك الله من النـار.. أعتقها أعتقك الله من النار... أعتقها أعتقك الله من النار...

وفجـأة صـرخ الجن بقـووة كأنـه وحش..... قـال: أنـا لست بمسلم ولست بجن...

سأله الشيخ: ما اسمك؟. قال: إسحاق..

أنا عفريت، ولن أخرج من جسدها إلا بروحها معي.. أو يُطَلَّقها فأذهب عنها...

وفجأةً بدأتِ تفقدين قُواكِ.. أنفاسُكِ تتقطع... عرفت أنكِ ستموتين لامحالة إن أنا لم أوقف الجلسة..

ضـممتك وصـرخت لهـم أن توقّفـوا.... فأنـا لا أُريـد خسارتك..

الشيخ محمد صالح قال: يجب أن نُكمل وإلا ازداد الأمر سوءًا..

ولكنني رفضتُ رفضًا قاطعًا، لأني لا أريد أن أخسر حبيبتي..

وبقوّةٍ جبّارةٍ دفعتِني للجدار... صُعِقْتُ لهذه القوَة.... صرختِ بصوتك الغريب.... وقلتِ: اتركني لاشأن لك بي.. وفقدتِ وعيك تمامًا..

رضيتُ أن أعيش معك كما أنتِ... إلا أن حالتك بدأت تتدهور... كيف لي أن أعيش بدونك جلّنار، كيـــف؟!!...

أخيرًا فضلتُ أن أضحي بحبّنا، كي تعيشي أنتِ حياةً جديدة... على أن أفقدك للأبد.

بعد حوالي أسبوع، ذهب بي معزّ لبيت أهلي للزيارة.. وبعد أن أوصلني، بعث لي برسالةٍ على الهاتف المحمول قال فيها:

((حبيبتي، الدنيا قضاءٌ وقدر.... فإن لم تكوني من نصيبي في الدنيا سأعيش معك في الجنّة.... حيث لا مكان للأرواح الشريرة فيها ...حبيبُك للأبد: مُعِـــز...)).

مرضتُ فوقَ مرضي، وشعرتُ بخذلانٍ قاتل، وبخيانة تُقطّع أوصالي. لم أستطع التفكير بأنّي سأعيشُ بدونه ولو ليوم...

صرتُ طريحة الفراش مدة شهر..

ومضت السنة ولم أسمع منه شيئًا.... بكيتُ وبكيتُ بحرقةٍ ليس لأنه تركني ومضى، بل لأنني أحسست كأنه قد مات ولم تتسنى لي فرصة وداعه..... ذهب

فجـأةً... لـم يتـرك لـي صـورة مشـهد انفصـالي عنـه لأحفرها في صخرة ذكرياتنا.... فلم أمت كما لم اعش أيضًا!! ... صرت معلّقةً مع الأرواحِ العالقة..

سـخِرْتُ مـن الـدنيا، ومـن كوننـا مجـرّد* كومبـارس* نُمارسُ ما تُمليهِ علينا أقدارها...

تذكرت أنني تعرفت بمعز عن طريق رسالة... وتركني عن طريق رسالة... فشتّان بين الأولى والأخيرة!!!

انتهت قصتي بين الرسالتين على تلك الشّاكلة وانتهى خفقانُ قلبي معهما..

انتهت الساعة 5:32 صباحًا

بتاريخ 24-7-2013

((أحداثُ هذه القصّة حقيقية ترويها المدام -غ- باسم جلّنااار))... وإلى اليوم لازالت تنتظر معزّ وكلّها شوقٌ لرؤيته من جديد)).. الآن تكمل جلّنار دراستها في علم النفس... استعادت عافيتها قليلاً.... ولاتريدُ شيئًا سوى استعادة رتابة حياتها كما كانت..... حاليًا تفكر في السفر مع خالها إلى أوروبا لاستكمال دراستها هناك...))

النهاية

الاسم: نيد

عامل بقسم الأدلة الجنائية بمحافظة بيرميسان

الأرملةُ البيضاءُ...

و

إكسيرُ الحياةِ

أيقظَنِـي حلـمٌ مـزعجٌ فـي السّـاعةِ الرابعـةِ صـباحًا... رأيـتُ صـورةَ أُمّـي تحتضـرُ داخـلَ القبـر، والسُّمُّ ينهشُ لحمَها.... لم أستطِعْ بعد هذا الكابوس الذي اعتدت رؤيته من حينٍ لآخر، أن أنـام بعده.... صـوت ضرباتِ المطر على نافذتي مُستمرٌّ كطرقعـات أصـابعِ الأطفال.. كمْ أُصابُ بالضّجر والمَلل في وقت هطول الأمطار، لطالما كنت هكذا.... لستُ رُومانسيًّا طبعًا... فالحياةُ لم تكن منصفةً معي في شكلي... فالقُبْحُ أقربُ لي من الجمال....

لايمكنني إلّا أن أتذكَّر الوحدة أنـا وقطّتي (مونجيت)... مذ رحَلَتْ أختـي عن الحيـاة، آخر فرد في عـائلتي .... وأنـا أعيش وحيـدًا..... لايهمّنـي أحد بعد الآن ولا أحد يهتمّ بي....

أملك معملاً في قبوِ المنزل لتربيـة العناكب.. وذلك بغيـة الحصـول على سُمّها..... مِنْ صِغَري وأنـا

أهُمُّ بجمع الأراملِ السَّوداوات... وبُيُوضِها الدَّبقة.... سوداءُ بنُقطٍ حمراءَ في الظهر.. وأُخرى بنفسجيةٍ لمّاعةٍ.... وأخرى رماديةٍ مرقّطةٍ بالأسود والفضي.... لا أدري ما هو سببُ عشقي لجَمعِ السُّمّ!!

(النَّحل يجمع العسل، وأنا أجمعُ السم، لأخبّئَه في قنّيناتٍ صغيرةٍ ... يا لِسُخريةِ القدر... مخلوقات صغيرةٌ نافعةٌ تُحارَب، ومخلوقاتٌ كبيرةٌ ضارّةٌ تُدَلّل، وتُسَكَّنُ فِي بُيوت، وَلها من الحقوق مايفيض!!!).

الحياة ليست عادلة علاما يبدو!!

تتثاءب مونجيت بكسلٍ كعادتها على أرضيةِ الخشب العتيق... فتُصدر صوتًا إضافيًّا لصوتِ الأمطار... صوتٌ يجعل أسنانَك تصْطكُّ ببعض، صوتُ المطر مستمرٌّ في الخارج... عظامي تؤلمني، ورأسي يكادُ يسقط من الثِّقل.... قبل أيامٍ لدغتني

إحدى العناكب، وأنا أُحاولُ إطعامها بيدي.... أحسستُ وقتها بخَدَرٍ وصرت أُهلوسُ وأحلم بِـ كوابيسَ خلال يقظتي.... إلّا أنّني اعتدتُ لدغاتِها من حينٍ لآخر... بل إنني صرتُ أتعمّدُ تركها تلدغُني.... شعورُ سُمّها في جلدِي مثير، مُغْرِي.... يترك في نفسي أثر تَكرار المحاولة أكثر من مرّة.... يمكنُ تسميته بنمط الحياة الماسوني.... نذرت حياتي لتربية العناكب وقتل كل من يقف في طريقي، هكذا أنا، أنانيٌّ بعضَ الشيء في كلّ ما أحب...

يقتضى عملي الحقيقي بجانب جمع السم.... عملي في دائرة الشرطة في قسم الأرشيف.... في محافظة "بيرميسان"... أقوم بتنظيم ملفات الجرائم.... وترتيبها أبجديا... وأقومُ بتنظيم الأدلّة الجنائية... كالسّكاكين والمسدسات والحِرابِ والعِصي الغليظة الملطّخة بالدّماء المتجلّطة.... أحفظُها بأكياس بلاستيكية.. إلى

حين طلبها.... منحني عملي هذا كثير من العزلة المرغوبة...

أذكرُ أنهُ ذات خريف تكرّرت حالات القتل... ولم يكن هناك من دليل إلا لدغاتٍ غريبةٍ... الكُلُّ لم يعلم عنها شيئًا إلا أنا... علمتُ جيدًا ما تكون...

اكتمل فضولي وغمرتني السعادة عندما وجدت الحجّةَ لأدخل المشرحة بحجة أخذ الأدلّة إلى قسم الأدلة والأرشيف... أردتُ أن أعرفَ ما هو التأثير القاتل لسُمّ الأرملة البيضاء.. لأنه يختلف أيّما اختلاف عن سموم بقية العناكب، إنّه أشدُّ من سم الرعاف... سُمها مياه حقدٍ من جهنّم... استنشاقه كافٍ لتوديع الحياة.... قطرةٌ واحدةٌ فقط كفيلةٌ بقتلِ عشرات من الفيَلَةِ البالغة...

تبدو أماكن اللدغ زهريّة اللون.... حسدت الجثث وتمنيت لو كنت مكانهم، لتسنت لي الفرصة لأتلذّذ وأهزمَ سمها... لاحظت أنّهُ بمجرد تحريكك الجلد، تسمعُ أصوات فرقعات وبالونات تتفجر تحت أصابعك... إنها غازاتٌ سامّةٌ تفصلُ الجلدَ عن اللّحم... وتفصلُ اللّحم عن الدهن... يتحول اللحم حينها إلى قطِرانٍ سائل.... العينان تختفيان في أول ثلاثين ثانية... تاركةً فراغًا أجوفَ غائرًا... ينوءُ بألمٍ مباغت...

أعجبتني ماسونيّتُها وعدوانيتها في الفتك بالبشر المتكبرين... أردتُ أن أكون أحد ضحاياها الناجيين... وقررت البحث عنها...

أذكرُ لكم أنّي أخذتُ مناعةً ضدّ سُمّ العناكب... عن طريق الخطأ.... ففي صغري أجبرني بعض الأطفال

علـى أكـل بـيض العناكـب.... صِـرتُ أصـرخ وهـم يضـحكون، ويـدورون حـولي ويلقبـونني بـــ *نيـد العنكبوت* ...((أبو العناكب يقفز يقفز....فوق السرير بفـرح... ينسـج شـبكه ويقفـز يقفـز فـوق الخيـوط بمرح....))

لازلت أذكر ذاك اللحن.. رجعت يومها إلى البيت... ارتفعت حرارتي بشكلٍ لا يُصدّق.... وشُلّت أطرافي. صرتُ أُهلوِس وأُتمتم بذلك اللحن المغري الكريه... حتى إن أمي قلقت وظنت بأنّي ميتٌ لامحالة.. أعتقد أنني ذو سبع أرواح والآن أصبحت ستةً فقط... أم تراني أزهقتها كلّها دون علم مني!!!

قررت بعد جرائم الأرملة البيضاء... البحث عنها وإضافة سُمِّها لمجموعتي النادرة والخاصّة سيكون هذا بمثابة حصولي على كأس العالم الذهبي.... سأُهديهِ لروح أبي القذرة علَّه يشفع لي في مماته بأنني

ما كنت لأستحقّ منه هكذا معاملة... تخلّصتُ من كافة الكؤوس والميداليات الذهبية على الرّف... ووضعت مكانها قنّيناتِ السُّم الأنيقة..

حاولت تصفية دماءِ الموتى في المشرحة، لأستخرج سُمّها النافذ... ولكن!! أشعر بأن هناك شيئًا ينقص... فعندما قمتُ بحقن ما استخرجت في عصفورٍ ظلّ العصفور على قيد الحياة لبرهة قبل أن يلفظ أنفاسه... من المؤكد أن السم يختبئ في عظام الضحيّة.. لأن ما أملكُه الآن لا يمُتّ للسّمّ الذي أنشُدُهُ بأية صلةٍ، يبدو أنه يفقد فعاليّته فور خروجه من أنيابها الناتئة، هناك حلقةٌ مفقودة على الأرجح!!

القاسم المشترك بين الضحايا هو عيشهم في الجانب الجنوبي لإقليم كوتونا... هناك قرب شلالات توسكانا.... هناك حيث الغابات الكثيفة.. والحرارة المرتفعة !!

رجعتُ للبيت أُعُدّ العدّة للقيام برحلة الموت اللذيذة.. مونجيت تتثاءب وتنظرُ بـــ لامبالاة.... ترى كيف أترُكُها وحدها هنا!! قِطّةٌ غبيةٌ مملّة ولكني أحبها! أعتقدُ أنها الوحيدة التي لاتنظرُ إلي باشمئزاز.

صورةُ أبي تمرّ من أمامي وهو يسخر منّي لأنّي الأضعفُ بين إخوتي... كم أكره صوته!! كم أتمنى أن يرجع الزمنُ لأقتله بغير ذاك السم القديم.. كنت سأرشّح له سم الأرملة البيضاء.... نعم، فهو يتناسب عكسيًّا مع سواد قلبه تِجاهي.. كنت سأقتله ألف مرّةٍ ومرّة، دونما هوادة... ذاك الأبُ الغبيّ..

حزمت حقيبة الظهر ووضعت مونجيت في قفص... سأضعُها في بيت خالتي الوحيدة، قطّةٌ بلهاء، لا يمكنني استئمانها على حياتها..

انطلقت إلى جنوب كوتونا... هناك حيث تقبع معشوقتي المتمرّدة... فإذا كان السم هنا عديم النفع... إذاً عليّ استخراجُه من فمها مباشرةً... ضللتُ أمشي بفرح.... أتعثر أحيانًا بذكريات أخوتي وأبي... وكيف أجهزتُ عليهم بدهائي ومكري واحدًا تلوَ الآخر... وما ألبثُ ثوانٍ حتى أنتشيَ سعادةً بالرحلة لملاقاة تلك العروس الغجريّة... وقناعها الأسود اللّمّاع... من هناك تقرع أمّي الحنونة الطيبةُ باب القبو... حيثُ العناكب...

تنادي علي: نيد...نيد....نيد...أين أنت!؟

صوتها يخفُتُ... ويبهُتُ... ثم يتلاشى!! بسرعةٍ انتشر السّمّ في جسدها... عن طريق الخطأ.. ذابت روحُها في زوايا القبو، تصلّبت مشاعري من بعدها..

****

عنّفتُ نفسي كثيرًا وحرّقت كلّ العناكب..... إلا أني أحسستُ بالوحدة.... فلمْ يبقَ لي في هذه الدنيا سوى أختي الوحيدة... التي سرعان ما رحلت هي أيضًا، إثر حادث سير أودى بحياتها... شعرت بفراغٍ كبيرٍ ينهشُ أحشائي... وحدها العناكب تشعر بي.. تدلّلني، تؤنسني..... تبعثُ في جسدي الإحساس الخدر... قبلاتُها الحارّةُ عشقٌ وهذيانٌ...

ترامِت إلى مُخيّلتي كثيرٌ من الأحداثِ الماضية ممتزجةٌ بلذّة البحث....

قاطعني صوتٌ في جوفي يتساءل: تُرى ما هو شكلُ قلبها!؟، أيضخ سمًّا في كل أجزاء جسمها !؟ كيف لها أن تعيش دون أن تتبخر؟!!، تصنع سمًّا وتعيش فيه... كم هيَ قويّة.... أنا حقًّا مُعجبٌ بسجلّها الإجرامي....

كتلـةٌ مـن المشـاعر القاتمـة هـي تلـكَ الحشـرة المثخنـة بالسّـموم والأحـزان، حجمهـا كعقلـة الإصـبع، ولكنهـا فتّاكـة!!.... لا أُطيـقُ الانتظـار كـي أضـع سُـمّها فـي قارورةٍ إلى جانب مجموعتي النادرة...

أغنية الأطفال ترن في أذني، أبو العناكب يقفز يقفز.... فوق السرير بفرح..... ينسج شباكه ويقفز يقفز فوق الخيوط بمرح...

أشـعر بالغثيـان والحقـد، أتمنـى أن أشـبعهم سُـمَّ الكـون ليختفوا من الوجود.

ينتشلُني ذاك الصبي من ياقة قميصي بوحشيةٍ.... أدخلَ عشَّ العنكبوت في حلقي بقوّة..

آهٍ كم تألمت!!

تتداخل صورةُ العروس في منتصف الذّكريات بأزيزهـا الوهّـاج... بعينيهـا السّـوداوين الخـدّاعتين....

لايوحدُ بياضٌ في عينيها...فقط سوادٌ كُحّل بالسّواد... تنعكس عليها صورتي وأنا عارٍ من ملابسي، وجسدي ذو الشكل الغريب الأشبه بالجندب.. ولكن برأس بشريّ.... يُفكّر ويخطّط.... ويتآمر ليقتل كل من يقف في طريقه حتى لو كان أبواهُ..أو أخوته.

****

الشمس تستقرُّ بشموخٍ في عرش السماء ، ترسل بخيوطها المكشوفة اللّاسعة كسلاسل من ذهب... هي أيضًا تريد تجريدي من ملابسي.... تُريدُ تقييد اعترافاتي... هي تعلمُ كيف هو شكلي المختبئ تحت الملابس... تُريد أن تكشف عنه... ولكنّني ناضلت رغم الحرّ الشّديد ، أقبلُ أن أموت جفافاً على ان أتعرّى أمام حضرة الشمس...

للحظات كدت أستسلم لدفئها...

كـانت الحقيقة سَـاعتها كالشّمس تَشي بهَا إشعَاعَاتُهَا الطّويلـة... لَذيـذةٌ شَـهيةٌ دَافئـةٌ.... حقيقيّـةٌ... لاتستطيع معهـا إلاّ أن تغلـق عينيـك والاتحـاد معهـا... ولكـن العنكبوت الأسود بداخلي تمطّأ بمكر!!!

كسِبت الرهان مع نفسي ، وهزمت جبروت الملتهبة... خابت تجُرُّ أذيالها الأرجوانية بخنوعٍ إلى الجهة المقابلة من الأرض... حتمًا أتاها بلاغٌ عن وجود شبيهي في الجزء الآخر من الكرة الأرضية.. يجمع السم ويُردي ضحاياه من بني جنسه..

أشجار غابة كوتونا متراصّةٌ بتفانٍ وكأنها خُلقت لتحمي شيئًا ثمينًا كامنًا داخلها.... أ يمكنُ أن تكون هي عروسي البرّاقة!!!

سحابةٌ بيضاءُ ملبّدةٌ ومحفورةٌ بخطوطٍ برتقاليّةٍ بدموع الشمس... ستغيب على الأقل لسويعات قبل بزوغها من جديد.. ومحاولاتها الخسيسة معي من جديد....

دخلتُ مسرعًا للغابة المقابلة لأكواخ السكان المحلّيين، قبل أن تُغيّر الشمس من رأيها... دخلت حيث المكان الذي أتت منه معظم حالات اللدغ..

اشتممت رائحة السيانايد الخاملة تنتشر في الأثير.. سعلت بقوّة وبلذّة في آنٍ واحد.... فتحتُ فاهي على آخره وكأنني أدخن الماريجوانا، ولكن بشكلٍ شبقٍ جداً وأنيقٍ في آن معًا... إنسانٌ ذوّاق مثلي ينتشي بسُمِّ الكون، لابُدَ وأن يتذوق من أنفه رائحة القوة.... رُحت أستنشقُ بجنونٍ تلك الرائحة... نعم!! إنها رائحة سُمِّ العناكب الشّهيّ!!.. مسكٌ وعنبرٌ... كَبَتُّ أنفاسي لأمنع خروج ما دخلَ جوفي...

لايهمني الاختناق ولاالموت... بقدرِ مايُهمُّني أن أموت شهيدَ الماسونيّةِ الأنيقة.. جَثَوْتُ أرضًا أشتمّ التراب الرطِبَ المُشبعَ بالرّائحة... كم أنا محظوظ!!

الليل بدأ يُخيّم، يقذفُ بسحابه وأتربته على النجوم المشتعلة كالجمر.... فلا مجال من وجود النور بالقرب من ملكة الثلج ذات القلب الأسود المعطاء... القمر مختبئ كأنه يخاف الظهور..

الظلام امتزج في الأجواء معلنًا عن رعبٍ خفيٍّ بشكل رعشاتٍ في جلدي... يجئ ويمضي على شكل موجاتٍ يقشعرُّ لها بَدَني...

توسّدتُ ذراعي تحت شجرةٍ عملاقةٍ.... اتّكأتُ على أحدِ أطراف جذورها المرتفعة خارج التربة.... بدت لي كـ قفصٍ يحميني من الضواري الضخمة..

أشعلتُ ضوء هاتفي ورحت انظر إلى موسوعة الحشرات الصغيرة... صفحة 2209، قسم العناكب فصيلة المفصليات الاسم: الأرملةُ البيضاء... اسمها باللاتينية،(كاكروبيلاس انتوبياس).. لم يذكر المكتشف تفاصيل كثير عن شكلها الكامل.... فهي سريعةٌ لدرجة أن صُورها نادرةٌ وعصيّةٌ عن الالتقاط بالصور... وردت هنا ملاحظةٌ أسفل الدفتر... أنها تحب الدم العفن... هكذا تم جذبها للفخ في أواخر القرن الثامن عشر..

مضت الليلة سريعًا، تُهْتُ بذكريات طفولتي التعيسة، وأفراد عائلتي، أُمَنِّي نفسي بوِرْثَ كلّ ما تبقّى... من مزرعةٍ وبيت، سأعود في الغد، بعد أن أكون قد أمسكتُ بأرملتي المجنونة... وسأتنفس الصعداء وأنتصر بوضع السُّمِّ على الرّف.... كما كانوا أخوتي

يفعلـون بإحضـار كـؤوس انتصـاراتهم وميـدالياتهم.... ويضعونها مع أبي فوق الرف...

أبي ينظر لي بأني عديم الفائدة، لا يمكنني أن أحضر له كأسًا ولاإبريقًا..

ولكنّني أحضرتُ لــهُ أفضل من ذلك كلّه... شرابُ اللّذة الأبديّة... الّذي لا نظيرَ لـه... كُلّ الكُؤوسِ تنحنـي أمـام كأسه... خنوعاً وإجلالا..

عادت الشمس تعيد الكرة معي...تراها كانت تتلصّص على أفكاري وجاءت بالحُجّة والدليل لتُعَرّيني !!!

هممـتُ بسـرعةٍ بنصـب الفخـاخ هنـا وهنـاك.. وضـعت دماء ضحايا المشرحة، لأستدرجها..

مرت الساعات ببطءٍ إلى وقت الظهيرة ولكن لاشـيء، الذباب تكاثر على رذاذ الدماء العفنـة علـى ملابسـي...

تاركًا ما في الأقفاص... لعلّها فزعت من منظر الفخّ!! ذبابٌ ذكيّ!!

تجوّلتُ كثيرًا في غابة كوتونا ، ولكن سرعان ما وجدت ذلك الكهف في قلب شجرةٍ عملاقةٍ.. رطوبةٌ كثيرةٌ ورائحة براز الخفافيش مركّزة ولكنها ليست طاغيةً على أثير السيانيد الأخضر... نصبتُ آخرَ فخٍّ لي هناك... وأنا جالسٌ أَحْبُك شراكي... شعرت كأني قد أمضيتُ ساعاتٍ في نصب هذا الأخير.. فما عدت قادرًا على الوقوف ، يداي تخشّبتا وحرارةٌ بركانيةٌ تولد في ظهري.... الخفافيش عادت إلى وكرها أراها فوق رأسي ولا أسمع طنينها ، غابت الشمس وأنا لازلتُ عالقًا في شركي!!! وما هي إلّا برهةٌ حتى أُسقط أمامي خيطٌ حريريٌّ تتدلّى منهُ كرةٌ ثلجيّةٌ مليئةٌ بالزغبِ تحوي عينينِ مرعبتين.... ذات انعكاساتٍ حمراء... تبدو مختلفةً عن صورتها بالكتاب...

يا إلهي لقد علقت في شركي، وأنا هنا الفريسة ولست الصياد.... كيف لها أن تَقلبَ الأدوار؟!. كيف؟؟ كيف؟؟؟

متعةٌ مركّزةٌ كما تخيلتها بدأت بالظهور... نعم لقد انتصرت ولم أمت!! ضحكت في سرّي بصوتٍ عالٍ، أنا أوّل آدميّ ينتصرُ في وجه بني العناكب، الشمس رجَعَتْ بسرعة، لا تُريد مشاهدةَ مصيري المخيف، ففي هذا العقاب لي، يكمن سرُّ وخبثُ عزائها....

اكتشفت بعد ثوانٍ، وقوف كرة ثلجيةٍ أضخمُ بكثير من الكرة المتأرجحةِ أمامي.... يا إلهي!!! هذا لم يكن سوى ذكر الأرملة!!! هناك تنظر إليّ بثباتٍ بعيونٍ باردةٍ لا تكترث بشيء، لعلّها رأت في صمودي أمام سُمّ زوجها علامات افتتان بقوّة تحملي، نعم فقد رأت

بشخصي معشوقها الجديد، ولكن يا إلهي إن نجوتُ من سُمّها فكيف سأنجو من قواطعاها وأنيابها الحادّة.. فلستُ مُبَرمجًا إلاّ لتحمُّل السُّم... لأنني وببساطة أحملُ بجسدي أرواح العناكب الصغيرة الطّاهرة.. فهي التي حمتني من بطش أبناء جنسها..

يدايَ لازالتا متخشبتيْن ، لازلتُ بالوضعيّة ذاتها منذ ما يربو عن الساعة!!

فجأة انقضّتِ الأرملةُ على زوجها بسرعةٍ خاطفةٍ، وجاءت لتحقن في أحشائي بيوضها، لعلّها لم ترَ من داعٍ لقتلِ كائنٍ بهذه القوةِ على التحمُّل، ستجندني لأحمل صغارها، وأكون غذاءً لهم، فأنا في نظرها كفيلٌ بحمل أعباء الصغار.. وحماية نسْلِها الثمين.... سيكون نسلًا مُطوّرًا من حقد وسُمّ..

عينايَ مركّزتان باتجاه زبانها السّام... أريد أن أضع منه قطراتٍ في قارورتي... لكنّي لا أستطيع الفرار.. فكيف المفر؟؟!!

خفقان قلبي يتباطأ... حرارةُ جسدي تنخفض تدريجيًّا . بدأت أُحس بتآكل في عينيّ.. رأيت في سرعةٍ خاطفةٍ أختي الكبيرة وهي تنظر إليّ بحقد، لماذا قتلتهم يا نيـــد؟؟؟ لمَ فعلت؟!

أمي في القبو ترقص مع عنكبوتٍ وسيمٍ ببدله كالتي يرتدونها عازفو الأوبرا، بـذيلٍ وياقةٍ بيضاء، ولكن بكثيرٍ من الأذرع!!!.. أبي يأكل رِجلَ أحدِ العناكب المشويّة بتلذُّذٍ ويشكرني لأنّي ابنٌ صالح... إخوتي يُهدُونني الحلوى والألعاب بمناسبة نجاحي في المدرسة... وآخرُ صوتٍ سمعته يخفت تدريجيًّا كان

صـوت مونجيـت... تمـوء وتمــوء....وتمــــــــوء!!
وآخـر صـورة رأيتهـا قبـل أن ألفـظ أنفاســي، صـورة زوجتي وهي تهُمُّ بالاقتراب لتقطيعي بأنيابها...

انتهت

الساعة 7:28 صباحاً.

2013-12-1

بالخيال فقط أعيشُ آدميّـتي... وبالخيال فقط أرسُمُ نهايتهـــا

﴿فـارس السّـحاتي﴾

– أرى في عيني نومينا إرادةً وعزمًا قويين. . . السوط كالنصل أزرق ملتهبٌ بألسنة زرقاء تعيث بالمعتدين فساداً . . . الأوشام تهتزّ بتناغم وكأنها ستقذف ما بجوفها من أصباغ سوداء لتختلط باسوداد خوبان خوت. .أشعر بأنني قادرٌ مثلها بل وأكثر .شموسٌ غائرةٌ مثل تفاحةٍ قديمةٍ منسيّةٍ في معطف الشتاء الفائت. . تُطل على هذا المظلم النافث. . بدون طاقة. . .